وزارة التعلـــــيم العـــالي والبحـث العلـــــمي
جامعـة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
كليـة العلوم الاجتماعـية و الإنسانيـة

قسم العلوم الاجتماعية شعبة علم الاجتماع

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع التربوي

تمثلات الأسرة النووية لتربية الأبناء في ظل التغيرات الاجتماعية:
دراسة ميدانية بحي الوئام (منطقة الحشم) بمستغانم

من إعداد الطالبة : تحت إشراف :

فقيه أمينة أ.د. اسعد فايزة زوجة زرهوني

أعضاء لجنة المناقشة

حيرش بغداد ليلى أمال	أستاذة محاضرة (أ)	رئيسة
بقدوري حورية	أستاذة مساعدة (أ)	مناقشة

السنـة الجـامعيـة 2021-2022

شـــكر و عرفـــان

أتوجه بأسمى عبارات الشكر و التقدير لكل من ساعدني على إنجاز هذا العمل بداية بالأستاذة المؤطرة اسعد فايزة و الأستاذة حيرش بغداد ليلى أمال و كل أساتذة فرقة التكوين لمسار علم الاجتماع التربوي .

الفهرست

مقدمة عامة..... 6

1-الفرضيات..... 12

2-أهمية البحث..... 12

3-أهداف البحث..... 12

4-المقاربة النظرية المعتمدة في الدراسة.....13

5-منهجية البحث.....13

6-تحديد مفاهيم الدراسة..... 16

6-1الأسرة النووية..... 16

6-2التربية..... 16

6-3التمثلات..... 17

6-4التغير الاجتماعي..... 18

الفصل الأول : الأسرة : و اقعها ومسارها الاجتماعي

تمهيد..... 20

1-الأسرة : تعريفات و أشكال متنوعة..... 21

2-في البداية كانت الأسرة 24

3 -خصائص الأسرة..... 26

4-وظائـــــــف الأســـــرة.....27

أ -الوظيفة البيولوجية..... 27

ب -الوظيفة النفسية..... 27

ج -الاقتصادية..... 28

د -الدينية والأخلاقية..... 28

5-من الأسرة الممتدة إلى النووية: ما الذي تغير في مجتمعنا ؟..... 28

6-فردانية تتقوى داخل المدينة 31

7-أزواج و شقق : نموذج مهيمن بمنطقة التوسع الحضري بالحشم 35

8-قطيعة مع الماضي أم نموذج هجين؟ 39

خاتمة 44

الفصل الثاني: التربية الأسرية من منظور التغير الاجتماعي

تمهيد..... 46

1-التربية الأسرية : مقاربة نظرية..... 47

1-1 ماهية التربية..... 47

1-2 أهداف التربية..... 48

1-3 خصائص التربية.....48

2- تغير داخل المجتمع ومجتمع يتغير باستمرار.....49

3-الظاهرة الجيلية كنوع من التغير الاجتماعي.....51

4-تمثلات التربية بين ماض وحاضر 54

5-والدان فقط وطفل..... 58

6-أبناؤنا باتوا لوحدهم بالبيت..... 62

7-التنشئة الدينية داخل الأسرة النووية..... 64

8-اللباس كتحد يواجهه الأولياء 66

9-التكنولوجيا الحديثة والتربية الأسرية..... 68

خاتمة 73

خاتمة عامة..... 74

المراجع..... 76

الملاحق.....80

مقدمة عامة :

لا تزال القاعدة القاضية بأن " الأسرة أصل كل مجتمع " تحافظ على بريقها منذ بداية التاريخ إلى يومنا هذا . حيث يستند تباث هذه القاعدة على فطرة البشر في حاجتهم للاجتماع من أبسط مظهر إلى أكثره تعقيدا . و رغم كل ما عرض ويعرض للمجتمعات البشرية من تحولات عميقة سمحت بالتعبير عن الفردانية كنموذج يتحدى أهداف التنشئة الاجتماعية ، إلا أن الحاجة لوجود الأسرة لم تختفي أبدا .

يؤكد أنتوني قيدنز على "فكرة التغير العميق المرافق للحياة الاجتماعية والمستمر، كما يستحضر معه محدودية تفسير التغير مقارنة بحجم تنوع المجتمع البشري " [1]. ا

يسلط موضوعنا الضوء على تأثير التغير الاجتماعي على تربية الأسرة النووية للأبناء _ ينتمي إلى تقليد سوسيولوجي ضارب في القدم ، و المقصود من ذلك يتجاوز زمن كونت و سبنسر إلى فترة إبن خلدون الذي لم يغفل عن وجود التغير الاجتماعي و أهميته منذ اكتشافه قدرة الجماعة البدوية على التحول من حال إلى آخر مختلف تماما . يبقى أن نراعي الثراء من حيث المقاربات السوسيولوجية التي تعنى بالتغير الاجتماعي ، فلنا أن نعتبره "تحولا يمس حالة الثبات أو أن ننطلق من كون الاستقرار مجرد بطؤ يمس الحالة الأصلية للمجتمعات وهي الحركة و التبدل".[2]

[1] أنتوني قيدنز بمساعدة كارين بيردسال ، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية) ، ترجمة فايز الصايغ ، الطبعة الرابعة ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ص105.

[2] BOUDON R , BESNARD P , CHERKAOUI M, LECUYER B-P, Dictionnaire de la sociologie ,Larousse, Madrid ,2012, P 26.

بالتركيز على المجتمع الجزائري نقر بأن "أبرز تحول مس الأسرة غير من شكلها الممتد إلى آخر نووي"[1] ، و بالعودة إلى الماضي سنجد أن التحول العميق الذي جسدته فترة الاستعمار يمثل نموذجا مثاليا بالتعبير الفيبيري لما واجهته الأسرة الجزائرية في مسار تغيرها . لأن ضرب البنية الاقتصادية للأسرة عبر الأرياف مهد لبداية تفككها الاجتماعي ، ولا أفضل من تعبير بيار بورديو الذي يستخدم " الاجتثاث " كتعبير عن حجم و عمق التغيرات الجذرية التي تعرض لها المجتمع الجزائري . وطالما أن التغير الاجتماعي عبارة عن سيرورة فإن طغيان النموذج الحضري و تغلبه على سابقه خاصة بعد الاستقلال مثل استمرارية لما سبق . فكان على الأسرة الموسعة أن تفسح المجال رويدا رويدا أما منافستها _ النووية _ مع كل تفصيل جديد يطرأ على نوعية الروابط الأسرية إلى أن طغى النموذج النووي على سابقه . يتدعم هذا الموقف بأفكار بوتفنوشت التي تفسر التحول الكبير بداية من الفترة الاستعمارية مرورا بالستينيات فالسبعينيات ،و وصولا إلى الثمانينيات، يؤكد بأن "الأسرة الممتدة لم تستطع الحفاظ على خاصية عدم انقسامها مثل ما حدث مع العشيرة قبلها " .[2] من جهة أخرى لا بد من استحضار أنه عندما لا تختفي الأسرة و تغير من شكلها لتواكب الأحداث، فإن التغير الاجتماعي قد فعل فعلته . بذلك سيتغير كثير مما يرتبط بها لأنه من شأن التغير الاجتماعي أن يمس تركيب الأسرة ووظائفها . وطالما أن التربية تعتبر من الوظائف الأساسية للأسرة فمما لاشك فيه أنه سيمسها ما مس تلك الأخيرة .

[1] التصريح بأن الأسرة الجزائرية عرفت تحديا كبيرا من حيث تعميم النموذج النووي خلال الألفية الأخيرة لا يعني أن هذا النموذج لم يظهر من قبل ، لكن يتعلق الأمر بحجم انتشاره . يمكن الرجوع في هذا المجال إلى " العائلة الجزائرية ، التطور و الخصائص الحديثة " ، مصطفى بوتفنوشت ، ترجمة أحمد دمرى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984.

[2] BOUTEFNOUCHENT M , Introduction à la sociologie :Les fondements , OPU, Alger,2004,p39.

يتصل موضوع دراستنا بغيره من الدراسات السابقة التي قاربت الأسرة النووية الجزائرية وما يرتبط بموضوع التربية . وباختلاف الزوايا التي تقارب من خلالها تلك الدراسات ما يقترب من موضوعنا فإنها تشكل ثراءا لنا أن نستفيد منه كقاعدة ننطلق منها ونحاول التمايز عنها في آن واحد. بداية نستحضر دراسة الباحثة مدان نعيمة الموسومة "بنمط الأسرة الجزائرية في ظل التحضر والتغير الاجتماعي " [1]بمنطقة ذراع بن خدة . تتمحور هذه الدراسة حول إشكالية تجمع بين ما يفرضه التغير الاجتماعي في سياق التحضر وبروز نمط الأسرة النووية. إن المنحى الكمي الذي انتهجته هذه الدراسة جعلها قادرة على تجميع معطيات ثرية باعتماد عينة معتبرة من الأسر. وبالتركيز على النتائج المتحصل عليها تبرز مكانة الأسرة النووية كتتويج لمسار التحضر الذي مس منطقة دراع بن خدة ، والذي يستفيد من عوامل متداخلة كالمستوى التعليمي و الاقتصادي للزوجين ثم الانفصال المجالي عن الأسرة الممتدة عبر ولوج خيار المسكن الفردي . ما تصفه الباحثة مدان نعيمة أقرب لنموذج هجين من الأسرة النووية الغربية بحيث أن الواقع المحلي يعرض حالة وسطا تبدأ بمحاولة الانفصال عن الأصول دون فقدان تام للروابط الاجتماعية أو ضرورة الاستعانة بالأسرة الممتدة كسند مادي و معنوي . يلي ذلك بروز دور المرأة بدأ من استقلاليتها الاقتصادية ثم ما تكسبه على مستوى رمزي من حرية و مكانة تتأرجح بين مساندة الزوج وبين النجاح في اثبات الذات . كل هذه التحولات لا تفهم بعيدا عن شروط موضوعية سمحت بتحققها كالتطور التقني ، ضيق المسكن العائلي ، ضرورات العمل و التنقل في اطار ما تفرضه حياة المدينة

[1] مدان نعيمة ، نمط الأسرة الجزائرية في ظل التحضر و التغير الاجتماعي ، دراسة ميدانية لمنطقة ذراع بن خدة – ولاية تيزي وزو-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة الجزائر2 ، 2014.

في سياق ذي صلة كان لزاما [1]علينا الاهتمام بدراسة الباحثة بوخالفة خديجة حول " خصائص الأسرة النووية في المجتمع الجزائري " [2] . أهمية هذه الدراسة تنبع من كونها تحاول الإجابة عن ما إن كانت الأسرة النووية نمطا مهيمنا في المجتمع الجزائري وعن وجود ما يميزها كنموذج جزائري محلي . ميزة هذه الدراسة المزاوجة بين تقنية جمع المعطيات الكمية و الكيفية حيث استفادت من الاستمارة و الملاحظة في آن واحد .تؤكد الباحثة بوخالفة على ما يجعل التصنيع عاملا حاسما في تقلص حجم الأسرة و تغير قيمها ،كما تلفت إنتباهنا إلى وجود مؤسسات تنافس الأسرة الجزائرية بالمعنى التقليدي . المسكوت عنه في هذه الدراسة ليس سوى ما يسميه الباحث غريدجمال بالاستثناء الجزائري ، إذ وجب الانتباه إلى أن ما نتج عن التصنيع هو نموذج أولى و محلي من الأسرة النووية ، يتميز كنواة مستقلة نسبيا عن الأصل لكن يضل نسخة مصغرة عن الأسرة الممتدة من حيث الممارسات و القيم الاجتماعية. هذه الدراسة التي تتخذ من مدينة البليدة ميدانا تتكرر بها محاولات الربط بين التغير الحاصل للأسرة الجزائرية و البعد الاقتصادي كخلفية محركة له ، كما أن البحث عن البرهنة عن هذه العلاقة انطلاقا من تمثيل كمي يجعلنا نتساءل حول إمكانيات المقاربة الكيفية لتغطية جوانب أخرى لنفس ما تمت دراسته .

محاولة منا اعتماد دراسات أكثر قربا من الواقع المحلي بمستغانم نتطرق إلى دراسة الطالبيتين عداد سامية و المداح منصورية بعنوان " الأسلوب التربوي في الأسرة النووية بين التقليد

[1] تتضح صفة الإلزام التي أوردناها عندما نذكر بأن هذه الرسالة من تأطير مصطفى بوتفنوشات الذي يعتبر من أبرز الباحثين في مجال الأسرة الجزائرية . ثم من الجدير أيضا التذكير بأن أطروحة الدكتوراه سالفة الذكر من تأطير أحد أبرز المختصين في مجال المدينة الجزائرية وهو العربي اشبودن .

[2] بوخالفة خديجة ، خصائص الأسرة النووية في المجتمع الجزائري، دراسة ميدانية بمدينة بوقرة _ ولاية البليدة ، جامعة الجزائر ، 2002.

والحداثة"[1]، وهي دراسة تنطلق من محاولة فهم واقع محلي ببلدية الصفصاف بمستغانم . إذ تتساءل الطالبتان عن الحد الذي توفق فيه الأسرة النووية لإيجاد أسلوب تربوي يزاوج بين الحداثة والتقليد في ظل الرهانات الاجتماعية التي يعيشها مجتمعنا . تنطلق هذه الدراسة التي تتبنى مقاربة كيفية من افتراض انتهاج الأسرة النواة لأسلوب تربية ديموقراطي ويلي ذلك افتراض حرص الأسرة النووية على المساواة بين الجنسين .تصر الطالبتان على تحقق فرضياتهما لكنهما تستنتجان حضورا قويا للقيم التقليدية كموروث اجتماعي للأبوين و تقران بوجود تميز في معاملة الاناث مقارنة بالذكور . هذا التناقض الذي لم تفسره الدراسة نجد إجابة عنه عند بوتفنوشنت الذي يحذرنا من نسبية آثار التغير الاجتماعي التي وإن استطاعت تحويل شكل الأسرة من ممتدة إلى نووية لكنها لم تقضي على التقاليد الأسرية بالضرورة[2]

في المقابل تعرض علينا الطالبتان قوعيش أسماء و بن زينب خيرة دراسة حول " التحضر و تأثيره على العلاقات الأسرية " [3]، حيث تتخذ هذه الأخيرة من البيئة الحضرية بمنطقة "خروبة" بمستغانم وسطا يتحقق فيه التغير الاجتماعي بالتركيز على العلاقات الأسرية . تفترض الطالبتان علاقة سببية بين التحضر و تغير العلاقات الأسرية ، وكذلك تراجع للعلاقات الأسرية الداخلية مقابل انفتاح نحو الخارج .من بين النتائج المتوصل إليها أن التحضر السريع أثر بقوة على نوعية العلاقات الأسرية و أن ثقافة المدينة دفعت ببروز الأسرة النووية و تصدرها للمشهد ، لكن مرة أخرى نجد

[1] عداد سامية ، المداح منصورية، الأسلوب التربوي في الأسرة النووية بين التقليد و الحداثة ،دراسة ميدانية ببلدية الصفصاف (مستغانم) نموذجا ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع التربوي ،جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم، 2017.

[2] BOUTEFNOUCHENT M , Système social et changements social en Algérie, OPU,Alger, 1982,p82.

[3] قوعيش أسماء، بن زينب خيرة ، التحضر و تأثيره على العلاقات الأسرية ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع مدن و تنمية ، جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم، 2017.

تناقضا مشابها للدراسة الأولى يتصل بحضور المنظومة القيمية التقليدية وعدم اندثارها كليا . أمر يحذرنا من اعتبار التغير قوة قادرة على القضاء على أي استمرارية للبناء الاجتماعي .

تناولت الدراسات السابقة أنماط الأسرة وعلاقتها بالتحضر و خصائصها و كذلك من الدراسات ما تطرقت لدور الأسرة كمؤسسة تربوية تعنى بالتربية . كما أننا ما نلمسه في هذه الدراسات أنها نظرت إلى مدى انفتاح الأسرة النووية على ممارسات جديدة بعد أن مسها التغير الاجتماعي بأشكال مختلفة ، كما نلمس الربط الواضح بين الأسرة النووية و الحياة الحضرية سواء من خلال الدراستين أو ما اعتمدتهما من دراسات سابقة لهما .

لذلك فإننا نجد أن هذه الدراسات قد أغفلت الجانب الذي يتحدث عن ما مسّ الأسرة من تغيرات في طرق تعاملها مع أبنائها وتربيتهم نتيجة ما عرفه المجتمع الجزائري من تغيرات مسّت كل بنياته . وبناء عليه في دراستنا سنحاول أن نتخذ من حي الوئام بمنطقة الحشم بمستغانم ميدانا لدراستنا كونها منطقة توسع حضري بامتياز تحتضن مختلف الصيغ السكنية للسكن العمودي ويغلب على ساكنتها نموذج الأسرة النووية. في المقابل نسعى لتجنب فخ الأصالة و المعاصرة كما الحداثة والتقليد، لذلك نحاول أن نطرح موضوعنا بعيدا عن تلك الثنائيات المحددة مسبقا بحيث نركز على ما هو كائن دون محاولة حصره بالضرورة في خانة معينة . بدل ذلك فإن ما يشغلنا يتواجد في صلب ما تمارسه الأسرة النووية وما تستند عليه عند تربية أبنائها ومنه نتساءل عن الكيفية التي يساهم من خلالها التغير الاجتماعي في بناء تمثلات الأسرة النووية لطرق تربية الأبناء بحي الوئام بمستغانم ؟ وما هي أهم مظاهر الأنماط التربوية التي مسّها التغير الاجتماعي؟

1-الفرضيات :

- تنفرد الأسرة النووية بأسلوب خاص لتربية الأبناء يميزها عن نظيرتها الممتدة .
- تعكس تمثلات الأسرة النووية فيما يتعلق بتربية الأبناء آثار التغير الاجتماعي .
- تؤثر البيئة الحضرية على الأسرة النووية و ممارساتها التربوية على أبنائها
- تتحكم عدة متغيرات في تربية الأبناء . السن ، الجنس، المستوى التعليمي للوالدين، مكان الإقامة، المستوى الاقتصادي.

2-أهمية البحث:

يدخل هذا البحث في إطار الدراسات السوسيولوجية التي تعتني بالأسرة والتربية، لذلك ربطت بين تخصص العائلة والتربية. وعليه فإن دراسة أهم التغيرات التي مست أنماط التربية في الأسرة الجزائرية تعتبر من المواضيع التي تكتسي أهمية كبيرة في علم الاجتماع. لأن الاهتمام بالأسرة باعتبارها أهم مؤسسة تربوية أضحى يشغل العديد من المفكرين خصوصا إذا ارتبطت الأسرة بالتربية في ظل التغيرات الاجتماعية.

3-أهداف البحث:

نظرا لأهمية موضوع الدراسة حصرنا له عدة أهداف:

- إثراء البحث العلمي و السوسيولوجي بالدراسات حول الأسرة والتربية والتغير الاجتماعي.
- حصر أهم ما طرأ على الأسرة من تغيرات .
- تحديد النمط التربوي السائد في الأسرة الجزائرية.
- محاولة دراسة ظاهرة اجتماعية تمس أول خلية في المجتمع وأهمها.

4-المقاربة النظرية المعتمدة في الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على النظرية البنائية الوظيفية كونها أحد النظريات الأساسية التي اعتنت بدراسة الأسرة و التغيرات التي طرأت عليها. فالأسرة بناء اجتماعي وجزء من بناء أكبر الذي هو المجتمع ككل ، لذلك تلحق بها وظائف معينة جنبا إلى جنب مع مكونات النسق الاجتماعي الأخرى . لذلك فإن التركيز على تحول الأسرة هو تغير داخل النسق و انتقالها من نمط الممتد إلى النووي يصطحب معه تغيرا وظيفيا نسلط الضوء من خلاله على ما يتعلق بتربية الأبناء كدور لا ينفصل عن بقية أدوار الأسرة ذو قدرة على التكيف مع الوضعيات الجديدة .

5-منهجية البحث :

قبل الخوض في خياراتنا المنهجية وجب التذكير بأن بحثنا هذا ينتمي لعالم الأسرة وما يحيط به من ظواهر ثرية و متنوعة . ونحن إذ نهتم بموضوع الأسرة فإننا ننطلق أولا من موقف ذاتي يجمعنا بموضوع البحث ، فإضافة إلى الموقع الذي نشغله داخل أسرتنا المصغرة نحن جزء من أسرة أكبر و نقاسم مجتمعنا روابط عدة . من هذه الزاوية لا نحتاج لتبرير اختيارنا لموضوع الأسرة كمجال للدراسة ،فالباحث الاجتماعي يقاسم مجتمعه الظواهر قبل دراستها بحكم الموقع الذي يشغله كفرد من المجتمع . من جهة أخرى شدنا ما نعايشه بمنطقة الحشم بمستغانم إلى شبه تعميم لنموذج الأسرة النووية . أمر نقدر أنه يترافق و طبيعة البرامج السكنية المنجزة بالمنطقة ضمن ما يعرف بالسكن العمودي .

حرك فينا ما عايشناه و لاحظناه تساؤلا حول الحضور القوي لهذا النموذج الأسري و علاقته بتربية الأبناء. ، فالأمر أشبه" بفضول علمي توجهه تساؤلات حول ظاهرة معينة تثير انتباه الباحث ،بسبب

انتمائها إلى مجموع اهتماماته" [1] . إن التحدي كل التحدي يكمن في محاولة البحث عن زاوية خاصة نقارب بها موضوعنا القديم الجديد كي نقدم إضافة متواضعة خاصة بعد كل ما كتب حول الأسرة الجزائرية .

تعبر الخيارات المنهجية في مجال العلوم الاجتماعية عن خلفية الباحث و تخضع لطبيعة الموضوع المدروس . لذلك فإن لكل وضعية بحثية ما يناسبها من المقاربات ، التفضيلات ، التقنيات ...الخ ، ومنه نوعية النتائج المتحصل عليها حيث لا وجود لمعرفة سوسيولوجية منفصلة عن التقنيات التي أدت إلى إنتاجها . لطالما بحث علماء الاجتماع قبل فيبر حول الأسباب التي تحرك الظواهر ليفتح أمامنا أفقا جديدا يركز على معاني السلوك من منطلق الفاعلين . هكذا خلفية تجعل التركيز على ما يسند السلوك من تمثلات غاية في الأهمية . لا نسعى من خلال هذا البحث إلى استنتاج قواعد عامة أو تعميم ما نتوصل إليه بل نرمي إلى الاتخاذ من ميداننا وضعية بحثية نسلط من خلالها الضوء على ما يحدث بمنطقة محدودة جغرافيا . لذلك كان اختيارنا للمقاربة الكيفية لما تمنحه لهذا البحث من مزايا وتماشيا ونوعية ما نبحث حوله .

وظفنا في هذا البحث أداة أساسية لجمع المعطيات حول الأسرة النووية (المقابلة شبه الموجهة) والتي سمحت لنا بالدخول في حوارات مع المبحوثين [1] باعتماد دليل مقابلة قابل للتكيف مع ما تفرزه كل مقابلة من تفاعل . المقابلات لا تتكرر بقدر ما تنتج كل منها وضعيات تفاعلية خاصة وجب استثمارها ، فمقابلاتنا لا تتشابه تبعا لاختلاف مواقف ، خلفيات ، شخصيات المبحوثين الذين تعاملنا معهم . عموما حاولنا مراعاة ما يضمن نجاح مقابلاتنا ، لذلك حرصنا على اختيار مواعيد

---

[1] Cf ,GRAWITZ M, Méthode des science sociales ,Dalloz ,Paris,1996 .

[1] قباري محمد إسماعيل، مناهج البحث في علم الاجتماع : مواقف و اتجاهات ، منشئة المعارف ، الإسكندرية ، 1982،ص 156.

تناسب مبحوثينا لإجراء المقابلات و في ظروف تناسبهم ورغم ذلك لم نكن قادرين على الدفع بعامل الثقة نحو قبلوهم التسجيل الصوتي فاكتفينا بكتابة الأجوبة . ولتعثر سبق هذه المرحلة فإننا خصصنا شهر ماي من السنة الحالية لإجراء مقابلاتنا . و لأن الملاحظة هي طبيعة ثانية لدى الباحث و " تتم عن طريق الاتصال المباشر بالظاهرة ،والتعايش معها ومراقبة سلوكها [1]حاولنا استخدامها عند زيارة الأسر للوقوف على ما يمكن ملاحظته من تفاعل بين الأولياء وأبنائهم .

سعيا منا لتحقيق تنوع وثراء فيما يتعلق بمجتمع البحث وقع اختيارنا على عدد من المبحوثين تبعا للخصائص المتنوعة و المألوفة[2] حيث توزعت عينتنا على الشكل التالي : اثنى عشر مبحوثا منهم سبعة نساء و خمس رجال لأنه حتى عندما يرغب الباحث في تحقيق تنوع مقصود فلن يكون ذلك ممكنا خارج رغبة المبحوثين . يمثل هؤلاء المبحوثين جزءا من الفاعلين الاجتماعيين الذين يشملهم موضوعنا أي (التربية و الأسرة النووية) لكن طالما أننا لا نرمي استخراج قوانين اجتماعية عامة أو نرغب في تعميم النتائج المتوصل إليها فنقدر أن التنوع الذي يمثله أفراد عينتنا من حيث السن (30-57)، المستوى الدراسي (متوسط ، ثانوي ،جامعي)، وبشكل أقل من حيث نوع المسكن الذي طغى عليه السكن العمودي الجماعي كونه المسيطر بمنطقة الدراسة (حي الوئام) ثم من حيث التقسيم الجنسي الذي غلبت عليه فئة الإناث نسبيا أي السبعة مقابل الخمسة .

دامت مدة المقابلة مع كل مبحوث مدة ساعتين ، استغلينا فيها سكننا بمنطقة الحشم وتعارفنا مع العديد من الأسر بها، مما سهل علينا الاتصال بهم والقيام بالمقابلة في بيوتهم . انطلقت دراستنا الميدانية في أفريل 2022 ودامت مدة شهرين كاملين .

---

[1] مهدي زويلف –تحسين الطراونة ،منهجية البحث العلمي ، دار الفكر ،عمان ،1998 ، ص 71.

[2] Cf, BLANCHET A- GOTMAN, L'enquête et ses méthodes : l'entretien ,Nathan Université ,Paris , 1996.

ينقسم بحثنا هذا إلى فصلين إثنين متكاملين يتعلق أولهما بالأسرة عموما و النووية على وجه الخصوص ، ثم يختص الثاني بالتربية ضمن الأسرة النووية . لا يخضع هذا البحث لتقسيم كلاسيكي نظري ميداني ، بل يتكامل الفصلان لتغطية موضوع البحث الأصلي وهو تمثلات تربية الأبناء ضمن الأسرة النووية في إطار التغير الاجتماعي . تتوزع نتائج البحث على الفصلين بما يخدم الإجابة عن الإشكالية عبر فقرات تضم كل منها جزءا من النتائج المتوصل إليها و مواقف المبحوثين المدمجة أقوالهم.

6تحديد مفاهيم الدراسة

6-1الأسرة النووية :

جاء في لسان العرب أن أسرة الرجل بمعنى عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم ، ويعم ذلك المعنى أهل بيته . و اشتقت الأسرة من الأسر بمعنى القيد . أما المقصود من القيد فهو العبء الملقى على الانسان بما يصدق على المسؤولية .[1]. أما معنى الأسرة النووية فهي مؤسسة اجتماعية عمادها الزوجان و أولادهما غير المتزوجين يعيشون معا في مسكن واحد ، تنشأ بين أفرادها التزامات متبادلة اجتماعيا و اقتصاديا كما أنها النمط المميز للأسر في المجتمع المعاصر .[2] ونقصد بها إجرائيا شكلا من أشكال الأسرة البسيط غير المتفرع يقتصر على زوج و زوجة تقع عليهم مسؤولية أبنائهم غير المتزوجين الذين يقاسمونهما نفس المسكن فيما تعلق بالإنفاق و الرعاية ..

6-2التربية : لغة تشتق من الفعل ربا وربا الشيء بمعنى نمى و زاد ويقال ربى تربية ، وتربى الولد بمعنى أعده ونشأه ونمى قواه الجسدية و العقلية و الخلقية . بذلك يجمع المعنى اللغوي بين

[1] عبد الحميد سيد منصور ، وزكريا أحمد الشربيني ، الأسرة على مشارف القرن 21 ،ط1 ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 2000، ص 15.

[2] عبد القادر القصير ، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية ،دار النهضة العربية ، بيروت ، 1999، ص54.

التنشئة والتقوية و التهذيب[1] .أما اصطلاحا فيعرفها معجم العلوم الاجتماعية بأنها تنشئة اجتماعية للفرد فكريا وخلقيا وتنمية للقدرات الادراكية و العقلية داخل العديد من المؤسسات التربوية .[2]

إجرائيا نقصد بالتربية عملية مستمرة لإعداد الأفراد عبر غرس مجموعة من القيم و آداب السلوك و كذا مهارات اللغة و الاندماج مع المجتمع .

6-3التمثلات :

من الناحية اللغوية نجد ما يقترب من التمثل في جملة "ماثل الشيء" أي شابهه و "المثال "هو الصورة ، و"مثل له الشيء " أي صوره . و"مثلت له تمثيلا " أي صورت له مثالة بكتابة أو غيرها [3]. وباعتماد ما يرد في قاموس علم الاجتماع فالتمثلات شكل من أشكال المعرفة الفردية و الجماعاتية تختلف عن المعرفة العلمية. لأنها تحتوي على معالم معرفية و نفسية و اجتماعية متفاعلة فيما بينها ، كما أن هدف التمثلات هو إعادة إنتاج الواقع الاجتماعي المعاش [4] .

إجرائيا نرى في التمثلاث خلفية تسند صورة ذهنية تتحدد من خلالها مواقف الأفراد اتجاه ما يواجهونه في حياتهم وهي نتاج خبرة اجتماعية يكتسبها الفرد .

[1] صلاح الدين شروخ ، علم الاجتماع التربوي ، دار العلوم و النشر و التوزيع ، عنابة ، 2004 ، ص 15.

[2] أحمد زكي صالح ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1975 ، ص 377.

[3] إبن منظور ، لسان العرب ، دار المعرفة ط1 ـ بيروت ، 1988، ص437.

[4] حسان محمد الحسن ، معجم علم الاجتماع ، بيروت ،ط2 ، 1986، ص38.

6-4التغير الاجتماعي

التغير لغةً مصدر مشتق من (الِغيَرْ) ، ومعناه تغير الحال أو التبدل، و صيرورة الشيء على خلاف ما كان عليه من قبل .يقال تَغيَر الشيء عن حاله إذا تحول وتَبَدَلَ [1] . و التحول مصدر يحمل معنى التنقل من محل إلى آخر ، ومن معانيه أيضا الزوال والتغير.

يعتبر التغير الاجتماعي من أكثر مفاهيم علم الاجتماع ثراء وإن ربط ظهوره W. OGBURN إلا أن A.COMTE اهتم من قبل بتحول المجتمعات انطلاقا من ميله الواضح وتفضيله لعلم الاجتماع الديناميكي مقارنة بنظيره الستاتيكي ثم يبرز السياق التطوري للتغير عند H.SPENCER ، وسيقدم كل من K.MARX و E.DURKHEIM نظرتيهما للتغير الاجتماعي . لذلك نفضل التركيز على التعريف الاجرائي الذي نوظفه في بحثنا انطلاقا من كون التغير تحولا في بنية المجتمع و مظهره يحتمل أسباب متنوعة و يمكن متابعته عبر فترات زمنية متعددة .

[1] أنظر محمد الكتابي،" موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني و العلمي و الأدبي" ، الجزء الأول ، الشركة الجديدة دار الثقافة، 2014، الدار البيضاء .

الفصل الأول

الأسرة : و اقعها ومسارها الاجتماعي

تمهيد

كانت الأسرة ولا تزال اللبنة الأولى التي يستند عليها كل البناء المجتمعي عبر الزمن ورغم مرور العصور. يمر عالمنا اليوم بعديد التغيرات التي تصنع المشهد الحالي وتكسبه مظهرا مختلفا عن الماضي بعد طغيان نماذج محينة عن المؤسسات الاجتماعية بدأ بالأسرة. لذلك تكثر التساؤلات عن مصير الأسرة الممتدة مقابل تلك النووية التي تحولت لأيقونة العصر بلا منازع ويصبح الأمر أكثر أهمية عندما يتعلق بمجتمعنا الجزائري بخصوصياته الاجتماعية والثقافية.

1- الأسرة : تعريفات و أشكال متنوعة

كلما تعلق الأمر بالبحث حول ماهية الأشياء فإن الاختلاف يكون سيدا للموقف . ويتكرر الأمر عند محاولة تحديد ماهية الأسرة .لأننا سنقف مطولا عند من يركزون على الجانب البيولوجي، قبل الإشارة إلى من يعتبرها نظاما اجتماعيا كعلماء الاجتماع ثم سيبرز الجانب النفسي وأتباعه من علماء التربية و علماء النفس .

يعرف Murdoek الأسرة بأنها "جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ، ووظيفة تكاثرية ،كما تجمع بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع . و تتكون الأسرة من ذكر و أنثى بالغة وطفل سواءا كان من نسلهما أو عن طريق التبني"[1]. هكذا موقف من الأسرة يشترط وجود الأبناء لقيامها و يلخص وظيفتها في شقين بيولوجي واقتصادي. يقابل هذا التعريف آخر ينطلق من بيئة عربية إسلامية يجعل من الأسرة " نظاما اجتماعيا أساسيا ، بل نواة أي مجتمع تقوم بإشباع الحاجات العاطفية وهي مصدر الأخلاق والمثل العليا و القيم و الأطر الثقافية لضبط سلوك و تربية الأطفال ، تنشئتهم وتوجيههم "[2].

تعد الأسرة المهد الحقيقي للطبيعة الإنسانية ، ومحاولة تحديد تعريف لها ليس بالأمر الهين . إنها أحد المجالات التنظيمية التي يعرفها كل فرد معرفة وثيقة ، فهي مهد طفولتنا وهي التي تمنح العالم الاستمرارية و البقاء على الرغم من صغر حجمها لتبرز كأقوى نظم المجتمع " إنها النظام الذي عن طريقه نكتسب انسانيتنا ، كما أنه لا توجد طريقة أخرى لصياغة بني الانسان دون تربيتهم داخل الأسرة "[3].

---

[1] عبد الله رشدان ، علم اجتماع التربية ، عمان ، دار الشروق ،1999، ص 116.

[2] محمود الناشف ، الأسرة و تربية الطفل ،ط2 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ، 2011 ، ص30.

[3] عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، 1963 ، ص 75.

نلاحظ أنه بالرغم من أهميتها إلا أنه ليس لاصطلاح الأسرة مفهوم ومعنى واضح يجمع عليه العلماء عدا كونها من الوحدات الأساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي . كما تكمن صعوبة تحديد مفهوم للأسرة أو العائلة في تعدد أنماطها ، لأن معظم الزيجات التي نطلق عليها "أسرة " قد تخالف المعنى التقليدي خاصة إذا علمنا أن ملايين الزيجات في العالم وحتى في المجتمعات العربية تتم دون أن تصاحبها الإجراءات الرسمية ، القانونية ، و الدينية . من المعلوم بالضرورة أن معظم المجتمعات تقر أن الزوجان يعيشان معا ، ولكن في المجتمعات التعددية يبيت الزوج مع واحدة من زوجاته كل ليلة . وعلى هذا الأساس إذا قررنا تسمية كل زيجة أسرة فلن يكون هناك تعريف يفي كل وضعية حقها ، وفي المقابل فإن الحقيقة الماثلة أمامنا تفيد بأن أغلب البشر في المجتمعات الحاضرة و الماضية ولدوا و تربوا في أسرة .

نستخدم في هذا البحث "الأسرة " بدل "العائلة" التي يرى الباحث حمداوي محمد [1]أنها أكثر ارتباطا بالحياة التقليدية و بالجماعة المنزلية داخلها ،بينما يمكن أن يتحمل مصطلح الأسرة إضافات فتكون ممتدة ، نووية ، زواجية ...إلخ . بالعودة إلى الأصل اللغوي نجد أن كلمة أسرة تستخدم للإشارة إلى جماعة تتكون من الزوج وزوجته وأولادهما غير المتزوجين المقيمين معا داخل نفس المسكن . ويطلق مصطلح العائلة إشارة للأسرة الممتدة المتكونة من الزوجان إضافة إلى أولادهما غير المتزوجين أو المتزوجين و أولادهم وغيرهم من الأقارب كالعم ، العمة ، الابنة الأرملة . فنجد أن كل أولئك يتقاسمون نفس المسكن و يتشاركون حياة اقتصادية اجتماعيه واحدة تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة . وفي هذا الصدد يشير مصطفى بوتفنوشات إلى " أن العائلة هي

[1] محمد حمداوي ، المجال السكني العائلي في الوسط الريفي التقليدي : الدار و القرية لدى "بني سنوس"، إنسانيات عدد7 ،1999،ص ص 25-35.

المؤسسة الأساسية التي تشمل رجلا أو عددا من الرجال يعيشون زواجيا مع امرأة أو عدد من النساء معهم الخلف الأحياء و أقارب آخرين وكذا الخدم " [1]. أما الأسرة عند علي الحوات فتعني " وحدة اجتماعيه صغيرة تتكون من الزوج و الزوجة و أولادهما غير المتزوجين و أحيانا المتزوجين كما هو حال في الأسرة الممتدة ، هذه الأسر لها وظائف محددة ترتبط بالمجتمع و مؤسساته الاجتماعية المختلفة "[2]. في المقابل تؤكد سناء خولي على أنها "تتكون من ثلاثة أعضاء على الأقل ينتميان إلى جيلين فقط : جيل الآباء و جيل الأبناء ، وهي تشتمل على شخصين بالغين ... اللذان يعرفنا بأنهما الأبوان البيولوجيان للأطفال ، إلا أنهما يقومان في العادة بالالتزامات الاقتصادية اتجاه الوحدة الأسرية "[3].

يستخدم مصطلح الأسرة النووية للإشارة إلى الأسرة المكونة من الزوج و الزوجة و أطفالهما المباشرين، والفرق بينهما أن الأسرة النواة يمكن أن يقيم مع أفرداها أحد الأقارب مثل الأخت أو الأخ أو أحد الوالدين، أما الأسرة الزوجية فهي قاصرة على الزوجين و أطفالهما فقط . كما تعرف كوحدة تبدأ بمراسيم الزواج و تستمر خلال الحياة . من خصائص الأسرة النووية أنها منعزلة عن الجماعات القرابية الواسعة ، أي أن العزلة كائنة في بناء الأسرة ، كما أن أعضاء الأسرة لا يرتبطون معا بعلاقات متعددة و إنما يغلب عليهم طابع العلاقات الثنائية . والأسرة النووية وحدة أقل قوة وتعداد في الوظائف من العائلة الممتدة لأن العديد من وظائفها تتولاها مؤسسات خارجية.

من خلال ما سبق ذكره و انطلاقا من التعاريف المتعددة للأسرة، نستطيع حصر مصطلح الأسرة النووية على أنها أسرة تتكون من رجل و زوجته و أطفالهما اللذين يعتمدون عليهما داخل مسكن

---

[1] بوتفنوشات مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص14 .

[2] الحوات علي ، مبادئ علم الاجتماع ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1995، ص 228.

[3] الخولي سناء ، الأسرة و الحياة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ،ص38.

خاص معتمدين على مواردهما الخاصة . ويمكن القول بوجه عام أن الأسرة النووية هي خاصية نمطية للمجتمعات الحديثة ، وكوحدة مستقلة تعتبر نظاما عصريا .

2-في البداية كانت الأسرة :

مما لا شك فيه أن المجتمعات البشرية تكونت بشكل تدريجي لتصل إلى ماهي عليه اليوم ، وكان أن شكلت الأسرة نواة صلبة نشأت حولها العلاقات الاجتماعية الأولية قبل أن تتعقد شيئا فشيئا لترسم لنا صورة للمجتمعات . يقر أرسطو بأن الحاضرة اليونانية تطورت عن شكل أساسي وهو الأسرة ، ثم ينقل المؤرخون الرومان ألقاب و أمجاد الأسر ذات الحظوة في المجتمع الروماني .و من قبل تناولت نصوص حمورابي في طياتها ما ينظم العلاقات الأسرية و كذلك خلد المصريون حياتهم الأسرية عبر نصوصهم الهيروغليفية . إنها ظاهرة كونية بامتياز على اختلاف تمظهراتها الثرية ، فنحن حينما نقارب الأسرة نقف على حجم التنوع الذي تعبر عنه بداية من العشيرة الطوطمية ومرورا بالفترات التي تنافس فيها النموذجان الأمومي و الأبوي على السلطة . إنها "جماعة اجتماعية أساسية دائمة ، ونظام اجتماعي رئيسي ، كما أنها مصدر للأخلاق و الدعامة الأولى لضبط السلوك، بل و الإطار الذي يتلقى فيه الانسان أول دروس الحياة الاجتماعية "[1].

اعتمدت الأسرة في بدايتها و لا زالت تعتمد على الجانب البيولوجي الذي سمح بوجودها ثم باستمرارها لكن ذلك لم يتم بعيدا عن ما اقتضته نظم و أعراف المجتمعات . لأن كل مجتمع أوجد قوانينه الخاصة لضبط البيولوجيا فتتجاوز عندئذ الأسرة كونها مجرد علاقة بيولوجية ضرورية أو مصنعا للبشر . وعلى هذا الأساس طورت المجتمعات البشرية على مراحل ما يتعلق بأولية الزواج الداخلي للجماعة على الخارجي ، كما ركز بعضها على ما يدفع اختلاط الأنساب

[1] سلوى عثمان الصديقي ، قضايا الأسرة و السكان من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر ، 2001، ص 15.

تماشيا و الديانات السماوية .وفي سياق ذي الصلة تجاوزت الأسرة كونها علاقة بين الرجل و المرأة إلى بيئة حاضنة تتبنى نظم المجتمع و قيمه وتحافظ عليها عبر تكرارها من خلال قيامها بوظيفة التنشئة الاجتماعية فأول ما يتعلمه الطفل هو اللغة التي ينطق بها والداه بمخارج حروفها ومفرداتها الثرية إلى حين أن يكتسبها و يوظفها كأداة تواصل مع غيره . تؤهل الأسرة الفرد ليندمج داخل مجتمعه عبر تلقينه كل ما يحتاجه و في اطارها تتطور شخصيته قبل أن يبدأ باكتشاف العالم الخارجي . لا يتسع المجال في هذا البحث لتعداد ما يتثبت أهمية الأسرة و كونها ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية ثم الاجتماعية [1] كيف لا وهي أول ما يضمن بقاء النسل البشري وتضمن رعاية الأفراد لحين قدرتهم على ذلك بأنفسهم .

الإجماع الحاصل من طرف علماء الاجتماع حول كون الأسرة نقطة انطلاق للحياة الاجتماعية ، يضعنا في مواجهة مؤسسة قائمة بذاتها _من منظور E.DURKHEIM _ذات بعد تاريخي و وجود قوي في الحاضر فهي " مجتمع كامل يمتد تأثيره على النشاط الاقتصادي ، السياسي ، العلمي ، والديني ..."[2] .إن أبسط ما قد تعنيه الأسرة هو تعبيرها عن صلة قرابة دموية بين الأفراد ضمن حدود قد تكبر أو تصغر تماشيا و الحجم الذي تتخذه .و لابد عند الإشارة إلى الأسرة من حيث هي تعبير عن رابط دموي من العودة إلى تفسير ابن خلدون لخصوصية ذلك الرابط . إذا يرى أنه أقوى الروابط و الصلات التي تجمع البشر على الإطلاق " وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر الا في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى و أهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه "[3]. بل إن ابن خلدون يجعل من القرابة

[1] أنظر السيد رمضان ،إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة و السكان ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1999.

[2] مصطفى بوتفنوشت ، مرجع سبق ذكره ،ص21.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، دار الهدى للنشر ،ص 157.

الدموية وقودا تتغدى منه العصبية لدرجة أنه لا يقر بوجود العصبية في شكلها الحقيقي خارج دائرة الأسرة . إن صاحب المقدمة وهو يؤكد على ما تمثله رابطة الدم داخل الأسرة فإنه يسلط الضوء على قداسة ذلك الرابط في الحياة البدوية لما له من أهمية تقل شيئا فشيئا بالانتقال إلى الحياة الحضرية . وهو ما عرفه المجتمع الجزائري ، إذا تراجعت الصلات الأسرية خاصة منذ أن نجح الاستعمار في المساس بعلاقة الجزائري مع الأسرة الممتدة و مع الأرض عبر مراحل متعددة .ثم استمر الأمر بعد مرحلة الاستقلال بوتيرة مختلفة لكنها جعلت الأسرة الممتدة تخضع في الأخير لحتمية التغير الاجتماعي .

3 -خصائص الأسرة

-من خصائص الأسرة أنها أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية و انتشارا ، فقد وجدت في جميع المجتمعات وفي كل مراحل النمو الاجتماعي . وهي أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعي و أساس الاستقرار في الحياة الاجتماعية .

-الأسرة بمثابة الاطار العام الذي يحدد تصرفات الأفراد ، لأنها تمارس عليهم قواعد الضبط الاجتماعي التي تتشكل حولها حياتهم . فإن قامت على أساس ديني اتسمت حياة أفرادها بالطابع الديني ، و إن قامت على مبدأ التجارة ، العلم ، الفن ، كان ذلك صبغة تصطبغ بها حياة الأفراد.

-الأسرة أداة فعالة لنقل التراث الاجتماعي من جيل لآخر عبر التنشئة الاجتماعية.

-الأسرة هي الوسط الذي ارتضاه المجتمع لتحقيق غرائز الانسان و دوافعه بما في ذلك حب الحياة و تحقيق الدوافع الجنسية ، العواطف ، و الانفعالات الاجتماعية كعاطفتي الأبوة و الأمومة .

-تؤثر الأسرة و تتأثر من حيث كونها نظاما اجتماعيا بباقي النظم و تتكامل معها ، ففساد النظام الاقتصادي مثلا يؤثر على المستوى المعيشي للأسرة و على تماسكها .

-الأسرة وحدة إحصائية يمكن اعتمادها لإجراء تحقيقات الإحصاء السكاني من تعداد لأفرادها ، وتقص حول مستوى معيشتهم . كما يمكن اتخاذها عينة لدراسة الظواهر الاجتماعية .

- الأسرة وحدة اقتصادية تقوم بتوفير مستلزمات حياة أفرادها و حاجياتهم .

4-وظائـــــــف الأســـــرة

أ-الوظيفة البيولوجية :

وهي من الوظائف الفطرية التي تقوم بها الأسرة عبر الانجاب كضرورة بشرية " فالبعض ينظر للطفل كامتداد للذات أو النفس ، و البعض الآخر قد تكون لديهم أسباب دينية ، وآخرون يشعرون بأن الطفل يزودهم بالأمان . كما أن هناك طائفة تحب الأطفال لأنه من الطبيعي فعل ذلك ، وبعض الأفراد ينظرون لأطفالهم كوسيلة لتحقيق درجة من الخلود "[1]

ب-الوظيفة النفسية :

تتلخص هذه الوظيفة فيما تقدمه الأسرة لأفرادها من الأمان و القبول و المودة ، هذا ما يسمى بالدعم العاطفي للأبناء . حيث تعمل الأسرة عبر تلك الوظيفة على الحفاظ " على تقدير الأطفال لذواتهم و منحهم الحماية اللازمة للنمو بشكل نفسي سليم ...و تؤمن تفريغ الشحنات العاطفية التي تزيل العديد من عوامل القلق و الاضطراب التي تنتاب أفرادها "[2]

[1] حسن مصطفى عبد المعطي ، الأسرة و مشكلات الأبناء ، ط1 ،دار الشباب للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2004 ، ص19.

[2] عطا الله فؤاد الخالدي ، و دلال سعد الدين العلمي ، الارشاد الأسري و الزواجي ، ط1 دار صفاء للنشر و التوزيع ، 2009، ص 16.

ج-الوظيفة الاقتصادية :

تتميز عن غيرها من الوظائف بملازمتها الأسرة منذ القدم ،إذ توفر الأسرة لأفرادها اللباس و المأكل وقبل ذلك المأوى . فهي تعمل على سد حاجياتهم المادية إما بإنتاجها أو اقتنائها وذلك هو الاشباع المادي .

د-الوظيفة الدينية و الأخلاقية :

تتلخص هذه الوظيفة فيما تقوم به الأسرة من غرس القيم الدينية و الأخلاقية لدى أفرادها بدأ بالمعارف الدينية ثم التدريب على ممارستها باعتبار أن " الدين هو الرابط الذي يربط المجتمع ويحافظ عليه و على تماسكه . ويصبح تقبل الدين و قواعده من الأمور الضرورية لاندماج الفرد في المجتمع كما يصبح الدفاع عن تلك القواعد مظهرا من ارتباط الفرد بالمجتمع "[1].

5-من الأسرة الممتدة إلى النووية : ما الذي تغير في مجتمعنا ؟

مر المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات بمراحل متعاقبة ليصل إلى ما هو عليه اليوم. ذلك المسار الذي تخللته عدة محطات بدأ بالفتوحات الإسلامية ومرورا بسياق الاستعمار ثم الاستقلال كمقدمة للتنمية المؤقتة، فالتحول السياسي والاقتصادي سنوات التسعينيات لتبدأ العشرية السوداء لحين قدوم الألفية بما انطوت عليه من فرص وخيبات. كل تلك المحطات تركت آثارها العميقة على المجتمع وعلى خليته الأساسية أي الأسرة.

فمجتمعنا الجزائري تطور وازدهر معتمدا وجود الأسرة كبنية اجتماعية تدور حولها الحياة الاجتماعية بداية من مظاهرها الأكثر بساطة إلى تلك المعقدة. وسواء تعلق الأمر بمنطقة القبائل أو تلك التي يصنفها بورديو "ناطقة بالعربية" ، منطقة بني مزاب كاستثناء محلي ، أو ما يعم

[1] عطا الله فؤاد الخالدي، مرجع سبق ذكره ، ص 16.

الصحراء ككل . فإن مؤلف كتاب "سوسيولوجيا الجزائر" لا يتوقف عن اعتماد الأسرة الممتدة أساسا لتحليل البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري في الماضي [1] و باعتبار أنه يفرق بين بدو رحل وآخرين مستقرين مقابل الحضر ، فإن ما نتج عن القرابة الدموية الأولية اتخذ مظاهر متعددة تماشيا و نوعية البنية التحتية التي تسند الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري آنذاك .

نفترض أن تفاصيل الحياة الأسرية المرافقة للنمط القروي كما يستعرضها الباحث حمداوي محمد في مقاله (المجال السكني العائلي في الوسط الريفي التقليدي : الدار و القرية لدى بني سنوس) أقرب لنموذج مثالي عن ماضي المجتمع الجزائري في شكله الأصلي . أين لعبت العائلة _ بتعبير كاتب المقال _ دورها في تنظيم المجال و العلاقات الاجتماعية على حد سواء .[2] تتعقد صورة الماضي أكثر عند بوتفنوشات الذي يصف كيف أن نموذج الأسرة الممتدة بمثابة تقليص لبنية اجتماعية أكبر و هي " العشيرة " التي اضطرت للانقسام أمام ضغوطات السلطات الاستعمارية الفرنسية . ضغوطات فعلتها قوانين مثل سينتوس كونسيلت (Sénatus-consult1865) و قانون وارنيه (loi Warnier 1873) اللذان أضعفا التضامن الجماعاتي ، بدفعهما نحو إفقار جماعي للمجتمع[3].

نركز في هذا البحث على الأسرة النووية كنمط شبه مهيمن حاليا عوض نموذج الأسرة الممتدة، في حين أن هذه الأخيرة عوضت نموذجا أقدم وهو العشيرة كما يوضح ذلك بوتفنوشات . إذا نحن نعالج جزءا من مسار تحول أكبر يشمل مرحلة ما قبل الأسرة الممتدة نفسها ، وهذا المسار يروج

[1] Cf. BOURDIEU P, Sociologie de l'Algérie p13-69.

[2] أنظر محمد حمداوي ،مرجع سبق ذكره .

[3] BOUTEFNOUCHET M, Op.cit. p38.

كل فترة لنموذج ذو انتشار ضرفي لغاية استبداله بآخر يستجيب لمتطلبات العصر . هكذا تركت العشيرة مكانها للعائلة أو (الأسرة الممتدة)، وهذه بدورها تترك آخر مواقعها للأسرة النووية.

" شَانْقُولَكْ بَكْرِي بكري و دَرْوَكْ دروك " ، " كُلْ وَقْت و وقته "[1] عبارتان غامضتان و مختصرتان تبسطان الواقع يستخدمهما مبحوثونا وكثير من الجزائريين ، يبقى أن نعلم هل تغير شيء؟ سؤال لا تسهل الإجابة عنه بنعم أو لا، فلم يتغير كل ما يتعلق بالأسرة الجزائرية ولم يستمر بالضرورة أما الإجابة الكاملة فتكمن في التفاصيل لذلك من الأفضل التساؤل حول ما الذي تغير ؟.

"والديا واه كبرو فالعايلة الكبيرة عند جدي و جداتي ، بصح أنا وخوتي عشنا غي مع با وما ودروك راني عايشة أنا وراجلي وولادي في زوج . قاع الحاجة تاع بكري مابقاتش العايلة واللمة لي كاينة يقسموها ويتعاونو على هم الزمان ، دروك واحد ما يحمل لاخر "[2]، عندما تترك الأسرة الممتدة مكانها لأخرى نووية فنحن نعيش مرحلة "إعادة تنظيم إجتماعي" بتعبير توماس الذي يرى في التحولات التي تمس المجتمع شكلا من الفوضى العابرة إلى حين استقرار الوضع الجديد فينتقل بذلك المجتمع إلى حالة التنظيم من جديد . المسافة بين الحالة الأصلية للمجتمع قبل تحوله وبعد تجاوز آثار ذلك التحول تتيح أشكالا متعددة من الممارسات الاجتماعية تتميز بصراع القيم وفقدان الضبط الاجتماعي جزءا من سلطته ***" الوقت لي رانا عايشين فيه صعيب كل واحد لاهي في روحه ، ما بقاتش كيما زمان الكبير ما ينهي والصغير ما يصنت وزيد دخل روحك تحصل ، علابيها ولينا نقولو تخطي راسي و تفوت المهم كل واحد يربي ولاده وصابي..."***[3]. التحول من العائلة إلى

[1] تتكرر العبارتان في أكثر من مقابلة أجريناها أثناء بحثنا (المقابلات 3-4-5-7-11)فهما تشيران لإقتناع بتغير الأمور و بالانصياع للواقع . كما أنهما تستخدمان لتبرير ما يحدث من أمور مستجدة بعيدا عن أي أسلوب برهنة عقلاني ومقابل ذلك تقران أن التغير الحاصل واقع وكفى .

[2] المقابلة رقم 5.

[3] المقابلة رقم 1.

الأسرة الزواجية كما يسميها البعض تحول داخل النسق الاجتماعي ينجر عنه تحول في شكل العلاقات الاجتماعية، حدتها وكذا انتشارها . بذلك ستتحول أيضا التمثلات : سيتغير معنى القرابة وأولويات التضامن المباشر ، سيعاد ترتيب القيم و ما يرتبط بالتراتبية الاجتماعية لكن كل ذلك بشكل نسبي يمنعنا من التعميم . وهذا ما يفرضه الموقف العلمي المتزن ، إذ لسنا قادرين على التصريح دون تردد باندثار العائلة وتصدر الأسرة النووية كل المشهد ، لسنا قادرين على تأكيد غياب كلي للنسق الاجتماعي القديم واستبداله بآخر بقدر ما نحن قادرين على رصد انفتاح داخل المجتمع على أساليب جديدة و طرق تنظيم مستحدثة . ليست المسألة ببساطة نموذج و ما يضاده بل تركيبة قد تفصح عن فحواها السنين القادمة من منظور ما يراه الباحث لقجع عبد القادر من أن المجتمع الحالي في حالة مخاض " فالمجتمعات المغاربية هي الآن في مرحلة تاريخية تتميز بإعادة البناء و التركيب بين كل جوانب الماضي المتعدد وتطلعاتها الحالية "[1]. ومنه فإن القادم يضل غير واضح المعالم .

6-فردانية تتقوى داخل المدينة

المتابع للشأن الحضري يلمس بوضوح ثنائية قديمة حديثة تجمع الفردانية كخلفية موجهة للسلوك و المدينة من حيث كونها نمط حياة . فلطالما ارتبط نمط الحياة الحضري بقدرة الأفراد على التعبير بوضوح عن خياراتهم ، توجهاتهم ، فالمدينة هي مكان يسيطر فيه الضمير أنا على الضمير نحن . واستتار الضمير نحن هو انعتاق إلى حد ما من قدرة المجتمع على ضبط السلوك ضمن معايير و قيم محددة .

[1] عبد القادر لقجع ، أن تكون أنثروبولوجيا محليا : وجهة نظر جزائرية ، مجلة التغير الاجتماعي ، العدد رقم 2 ، 2017 ،ص 29.

لطالما كانت المدينة فضاءا للحرية من حيث أنها تسمح بأشكال تعبيرية متنوعة حيث تتقاطع نماذج التنشئة الاجتماعية وتتنافس لتجعل من النمطية و الأحادية ضربا من الماضي القروي مقابل واقع حضري أكثر حداثة . ***" شوفي أنا زدت وتربيت فالمدينة ماشي هذا يسع في هذا ، من بكري وحنا زعما عايشين ouvert قرينا عادي نخرجو نحوسو بصح القدر هو القدر... فالفيلاجات الدعوة شويا مزيرة surtoutلبنات مبلعين عليهم ....دروك كلش تبدل راهي مخلطة "[1].*** ما يحدث أن الأفراد داخل المدينة يمكنهم استشعار ما يفرقهم عن بعضهم و ما يميزهم ذاتيا ثم يجدون أن بإمكانهم التعبير عن أنفسهم بوضوح دونما حاجة لجعل ما يعتبرونه شخصيا متقبلا لدى غيرهم . إنها فردانية المدينة التي تتغذى على هامش الحرية فتجعل من الاختلافات الاجتماعية ثراء بل ونمطا حياتيا قائما بذاته . يحدث أنه ومن خلال الحياة الحضرية التي أصبحت مهيمنة في مجتمعنا و لضرورات فرضها التغير الاجتماعي الذي استند على انفتاح مس التعليم لدى الإناث ثم ولوجهن عالم الشغل ومن جهة أخرى أعطى للمشروع الشخصي أهمية أكبر بل و بررها مقابل المشروع العائلي " فالجماعات الاجتماعية القديمة من الأجيال السابقة ، والتي تميزت بالقرابة والأبوة، كما التحالفات من زاوية المنافع الاقتصادية القديمة .بدأت تتلاشى ...،لتعيد تكوين نفسها من جديد"[2].

" تحكيلنا أما بكري على جداتي مين كانوا يسكنوا برا مع بعض في داروحدة ، كان الاستعمار وقلة الشي وقاع ملمومين لي دارشي فرح يعاونوه ولي عنده قرح ثاني ، كانوهوما وعمامها عايلة وحدة ومتحابين وجدها كانت عنده أرض توكلهم قاع من بعد أدواهاله ". [3]

---

[1] المقابلة رقم 3.

[2] BOUTEFNOUCHET M, Op.cit. p31.

[3] مقابلة رقم 12.

لا بد من استحضار الفرق بين التضامن الآلي و العضوي عند دوركايم كلما تعلق الأمر بتباين الفروقات بين الحياة الريفية و الحضرية . ليست القضية قضية صنفين مختلفين من التضامن وحسب ، بل إنها تمتد لتميز نوعين من التنظيم الاجتماعي . ففي الماضي القريب الذي سيطرت فيه الحياة الريفية على المجتمع الجزائري بنسبة 70% من الجزائريين مقابل توزع 30% منهم بين المناطق الحضرية[1]لعبت الملكية المشتركة للأرض دورا هاما في تقوية الرابط الاجتماعي الأسري ، كما أنها أكسبت الأسرة سندا ماديا يترجم العلاقات الاجتماعية . لذلك نجد أن الأسرة الممتدة نموذج فعال لتحقيق تلك الملكية المشتركة للأرض بتقاسم المهام و الأرباح ، إنه تنظيم محكم تنتج عنه حياة بأكملها. وعلى ضوء ما سبق نفهم الحاجة للأسرة الممتدة ، السلطة الأبوية ، و التضامن الآلي. فالأصل الريفي للمجتمع الجزائري في الماضي جعل تلك العناصر تذوب في نسق اجتماعي صنع الهوية الخاصة بالمجتمع الجزائري و التي تمثل الأسرة الممتدة مكونا أساسيا من مكوناتها .إلى حين أن سيطر النموذج الحضري الحالي بآلياته التي تعتمد القدرة على الاختيار والتمايز عن الغير بدأ بالانتماء إلى جماعات مختلفة على أساس المنفعة وليس استجابة لما تمليه الجماعة الأصلية حيث برزت "أشكال تضامنية لا تأبه إلا لمنفعة المجموعة أو الطبقة ،مقابل أخرى أسرية ، دينية ، تاريخية ...إلخ" .[2]

"العايلة نعمة ولافامي ملاح في وقتنا حتى الخوت ومارهمش كيما بكري كل واحد لاهي في همه، زيد العيشة صعابت وكلشي غلا تصيب روحك تجري مور الخبزة ... خطرات ولد عمك تشوفه

[1]Ibid., p77.

[2] BOUTEFNOUCHET M, La société Algérienne en transition, OPU, Alger ,2004, p56.

مالعيد للعيد ولا نتلاقو فالجنايز هذا ماكان ... الكبار راحو ما كانش لي يلم و تصيب الخير فالبراني خطرات خير ملافامي لا في مرض لا في دراهم شانقولك وقت جاد ايرهاك وصابي"[1].

عند هذا المستوى يصبح الفرد معرفا عبر هويته الفردية لا المنتجة و المتقاسمة جماعيا بحيث تذوب عبرها رغبات ، أحلام و تفضيلات الفرد أمام مصلحة الجماعة. مما سبق يمكن استنتاج أن المدينة بيئة تزدهر بها الفردانية لاستفادة المجتمع الحضري من هامش حرية أكبر يسمح بالتعبير عن الأنا بشكل قوي و هذا ما تجسده حياة الأسر النووية داخل المدينة الجزائرية حيث يتاح للزوجان قدر أكبر من الخيارات التي تبرر و تشرعن الانفصال عن الأسرة الحاضنة .

يترتب على ذلك كل ما يتعلق بالاستقلالية بدأ باختيار شريك الحياة ، الانجاب ، مغادرة الأسرة في وقت مبكر بعد الزواج في بعض الحالات ، و الحاصل أن وفرت المدينة للأسرة فضاءا للحريات الشخصية بالتدريج لتتحول تلك الأخيرة إلى نموذج معمم مقبول أو مسكوت عنه يلاقي معارضة أقل من الماضي . ***" مين ديري دارك وحدك تتعلم تتكل على روحك و تقفز وحتى واحد ما يدبر عليك أنت تحكم في روحك وعلى حساب شا طيق ماشي قاع يدخلو رواحهم فالصغيرة والكبيرة "*** [2]. ***" شكون ماراهيش دايرا دارها وحدها في وقتنا ؟ قاع النسا راهم قاريات وخدمات ... وقت جا دايرهاك الخاوا يتفرقو و زيد النسا راهم يحكمو "*** [3]

تشكل الأسر النووية بالمجتمع الجزائري ضرب من التغير الاجتماعي الذي تحقق بداية من وجود هذا النموذج كمنافس اجتماعي للأسرة الممتدة لضرورات التعليم ، العمل ، السكن داخل المدينة ،عندئذ تم تحيين العادات والتقاليد بما يتماشى و هذا الدخيل ، أي الفردانية الحضرية .

---

[1] المقابلة رقم 11.

[2] المقابلة رقم 6.

[3] المقابلة رقم 10.

7-أزواج و شقق : نموذج مهيمن بمنطقة التوسع الحضري بالحشم

تقسم المدينة تبعا للوظائف التي تؤديها المناطق التي تتكون منها ، فتتميز المناطق الصناعية عن السياحية ، الأثرية ...الخ . ومن بين أبرز المناطق داخل المدينة نجد المناطق السكنية ذات الأهمية البالغة. إذ تعرف المدينة قبل كل شيء على أنها مكان لاستقرار البشر والذي يمر عبر المسكن أولا. في الجزائر وفي اطار السياسات الحضرية ، تم التفكير للتحكم في نمو المدن عبر إنشاء مناطق توسع ترسم حدودا لاتساع نطاق المدينة . وفي مستغانم يجسد حي الوئام بمنطقة "الحشم " نموذجا عن تلك المناطق سالفة الذكر إذا يحقق وظيفة الإسكان بامتياز عبر مشاريع متنوعة من السكن الجماعي تتراوح بين ما يصنف ضمن الاجتماعي وتتفرع عنه صيغة إسكان قاطني السكنات الهشة، كما نجد ما خصص لبرنامج عدل ،فالسكنات الوظيفية . يقابل كل ذلك السكنات الفردية كنموذج سكني مختلف من تمويل الخواص .

يبرز بحي الوئام بمنطقة الحشم بمستغانم نموذج سكني مهيمن[1]وهو الشقة التي تعبر عن خيارات هندسية و تفرض إكراهات و تتيح خيارات تبعا لثقافة و حجم الأسرة القاطنة بها . والحاصل أن تلك الشقق ذات الثلاثة و الأربعة غرف تحتضن أسرا نووية في أغلبها يتباين عدد أفرادها _ على الأقل انطلاقا من عينتنا_ بين الخمس و الأربع أفراد كتمثيل نسبي لواقع الحي ككل ***" رانا عايشين كي الزواوش كل واحد مبلع بابه على وليداته... معلقين فالسما المهم مستورين ، قاع الناس راهي ساكنة فالباطيمات ...في وقتنا السكنى صعابت ....شحال جريت على dossier قريب نقطع لياس ."*** [2]

[1] الإشارة إلى وجود نموذج مهمين تترك مجالا للاستثناء ، حيث يوجد بحي الوئام سكنات فردية لكن حضورها في المشهد العام أقل .

[2] المقابلة رقم 2.

بعيدا عن كون الشقق بحي الوئام هياكل اسمنتية يقطن بها الأفراد، نقدر أنها نموذج سكني مرتبط بنوعية حياة أسرية تشق طريقها نحو التعميم بالجزائر ، فسواء تعلق الأمر بمستغانم ، العاصمة ،قسنطينة ، و وهران أو غيرها من المدن التي تحتضن المشاريع السكنية الجديدة ، سنجد أن شقق العمارات تحتضن أزواجا في مراحل متوسطة من العمر نسبيا [1]يسعون للاستقرار عبر ضمان المسكن ،فيتجاورون وتتصل شققهم ببعضها لتصنع لنا أشكال من الأناسة لم تكن مهيمنة من قبل داخل مجتمعنا . كل شقة هي بمثابة إطار منفرد منعزل بجدرانه لكن قبل كل شيء منعزل بمنظومته القيمية، نموذج التنشئة خاصته، عاداته، وحتى تفاصيل حياته اليومية، ثم بعد ذلك رؤيته للأمور وكذا نجاحاته.

السكنى فالباطيمة ماشي كيما لرض ، رانا مخلطين...كاين القبيح و المليح ولوكان ما تقابلش ولادك يضيعو. أنا نضل نوصي فيهم وبوهم ثاني مادام راهم صغار...أحنا تربينا في وقت خير من هذا ودروك تطل مالتاقة تسمع الهدرة الطايحة وزيد الخلطة تعدي و راهي ولد وطلق للزونقا سيرتو عندنا فالصوصيال كارثة "[2]." شوفي قاع كيف كيف ما كانش لي يكذب عليك كي أحنا كي السوسيال وين ما تروح الناس راهي حاصلة مع ولادها و أنت و ما ربيتهم ...أنا دايمن نقولهم ما تجيبوليش الطبايع تاع برا كل واحد ويجبد على أصله ."[3]

نشهد اليوم انحصارا لحجم العلاقات الاجتماعية إلى داخل الأسرة النووية بعد أن تحولت إلى ملاذ لا بديل عنه بالنسبة لأفرادها كيف لا وهي تحدد علاقتهم بالعالم الخارجي بداية من حدود الشقة، فكل ما هو حميمي، خاص، وشخصي تحميه الشقة ويتجسد عبر علاقات تربط أربع أو خمس

[1] تتراوح أعمار مبحوثينا بين الثلاثين و السبعة و الخمسين سنة . لكن نلاحظ أن المستفيدين من البرامج السكنية عموما يقتربون من هذه الأعمار.

[2] المقابلة رقم 4.

[3] المقابلة رقم 6.

أفراد في صورة زوجان وأبنائهما. هناك يتم كل شيء بدأ بتعلم أبجديات الحياة، فمواجهة التحديات اليومية. لقد تحولت الشقق إلى هوية ثانية للأسر النووية، فهي تحتضن وتحمي وجود تلك الأخيرة، ومن هذه الزاوية ينحصر ذلك "النحن " الذي يشير إليه دوركايم ليلازم الشقة دون مغادرتها ويتقوى الضمير "أنا" خارجها.

يعبر ميدان دراستنا " حي الوئام" بمنطقة الحشم عن نموذج جديد في طريقه للتعميم عبر الجزائر، قوامه الحصول على شقة لاستكمال مسار الأسرة، أسرة نووية بامتياز تنغلق على نفسها ككون مصغر، لكنها تتواجد مع شبيهاتها لتتقاسم نفس الفضاء السكني الجماعي. بقليل من التمعن يمكن التصريح بأن هذا الواقع الذي نصفه بمثابة نتيجة لمجموعة من التحولات الاجتماعية الكبرى التي شهدها المجتمع الجزائري خلال الخمسون سنة الأخيرة، خاصة بعد انتشار مشاريع السكن _في العشرين سنة الأخيرة _التي أصبحت تتيح التعبير عن رغبة في العيش المنفرد لدى الأفراد بعيدا عن أسرهم الممتدة.

" بكري كان الواحد مين يتزوج يعطوه بيت يعيش فيها حتى لي يبكرو ولاده قاع الجزايريين عاشو هاكا الخوت العمام ... تبالي الناس دروك راهي تايفيتي المشاكل مالولا لي يتزوج يديرداره وحده علابيها الكرية غلات قاع راه مكاريين وين ما تروح ،وزيد عياو يبنو فالباطيمات و ماقدوش بكري لا داروحدة لامة عايلة كاملة "[1].

إن عوامل مثل حركة الاقتصاد التي جسدها التوجه نحو التصنيع في سبعينيات القرن الماضي وما مس تعليم وعمل المرأة ليسا ببعيدين عن ذلك المشهد[2]. لقد ساهمت أزمة السكن بشكل غير

[1] المقابلة رقم 9.

[2] أفردت مجلة إنسانيات عددا خاصا حول "المرأة في البلدان العربية : التغيرات الاجتماعية و السياسية " ويمكن الرجوع إليه فيما يرتبط بالمكانة التي اكتسبتها المرأة عبر الاستفادة من التعليم و من تم ولوجها عالم الشغل. يرجى مراجعة العدد 74 من مجلة إنسانيات لسنة 2016.

مقصود إلى زمن غير بعيد باستمرار نموذج الأسرة الممتدة حيث تتساءل الباحثة حجيج شريفة حول "إن كانت استمرارية الأسرة الموسعة هي اختيار لبنية أسرية معينة، أو عبارة عن حل ذو طابع تضامني أسري أمام أزمة السكن لا غير"[1] .

لقد وفر التضامن الوالدي مع الأبناء حديثي الزواج سندا ماديا قبل أن يتم تعويضه باستقلالية مادية تستفيد من ولوج المرأة عالم الشغل. لذلك فإن الحياة الأسرية أصبحت تقتصر على دور الزوجان كفاعلان رئيسيان يجمعهما مسكن منفرد عن أسرهما الأصلية ، و يسمح لهما بتأسيس حياتهما الخاصة في مشهد بدأ ينتشر أكثر فأكثر في مجتمعنا مقابل ما وصفه بوتفنوشات في سبعينيات القرن الماضي من أن "...هناك بنية أسرية مركبة ، أو ممتدة مهيمنة .مقابل بنية أسرية بسيطة أو على مستوى الزوجين في تطور بطيء ،و تشكل أقلية "[2].

بعيدا عن زمن فسر مفرداته بوتفنوشات ، طغى اليوم على المدينة الجزائرية نمط سكني ملازم لشكل الأسرة النووية بعد أن هيمن في الماضي نموذج السكن الفردي الذي يحتضن الأسرة الممتدة بل كانت الشقق تتسع لتحتضن تلك الأخيرة حتى داخل نموذج السكن العمودي بالمدينة . إن هذا التحول ينهنا لسيرورة بدأت وهي قيد التحقق فيما يرتبط بتبدل مظاهر الحياة الاجتماعية بالمدينة الجزائرية بعد تغير النموذج الأسري المهيمن داخلها. " ***دروك لي كوبل راهم أكثر استقلالية و مدبرين ريسانهم ، ما بقاتش العايلة الكبيرة ...راني مجربها فالعياد و العطل لاسيتي تخوا مالسكان كل واحد ويروح لدارهم ...تسمى الناس تتلايم غي فالمناسبات بصح باقي***

[1] BOUTEFNOUCHET M , La société Algérienne en transition ,Op.cit. p56.

[2] Ibid., p82.

ليام كل واحد وحده ، بكري كان البويغيب عادي كاين لي يخلفه ليوم لي والديه بعاد ولا نسابه بعاد ينغبن تاع بصح .[1]

8-قطيعة مع الماضي أم نموذج هجين ؟

بعد أن وضحنا مظاهر سيطرة نموذج الأسرة النووية ومطابقته لنموذج الشقة السكني يصبح من الموضوعي التريث قليلا للتساؤل حول ما إذا كان كل ذلك يشكل قطيعة تامة مع ماضي المجتمع الجزائري؟ . باعتماد أحد قوانين التغير الاجتماعي التي تؤكد على نسبية التغير داخل المجتمع يمكن لما وقفنا عليه من انتشار نموذج أسري داخل المدينة أن يجسد الجزء الظاهر فقط من جبل جليد أكبر وأضخم حجما.

لا ينفك بوتفنوشات يحذرنا من أنه عندما تستمر التقاليد في"... المحافظة على مكانتها وقيمتها في الأماكن التي وجب أن تغيب عنها "[2] حق التفكير مرة أخرى والتساؤل حول معنى التغير. وباستثمار أكبر لمعطياتنا الميدانية نكتشف أن الواقع أعقد مما نتصوره وتلك خصوصية أخرى للظاهرة الاجتماعية التي لا تبوح بكل أسرارها من الوهلة الأولى . حقيقة هي أن الأسرة النووية المنفصلة سكنيا عن أصولها تمثل نموذجا طاغيا بميدان دراستنا وحتى داخل المدينة الجزائرية اليوم ، لكن هل يعني ذلك فقدان كل الصلات التي كانت تجمعها مع أصولها ؟ . هل نحن بصدد مراقبة أفول كلي لنجم الأسرة الممتدة وغيابه للأبد؟ .هل نجحت الأسرة الممتدة في السيطرة الكلية على المشهد المجتمعي ؟ . لن تكون أي إجابة بالقطع تامة المعاني لأن الواقع ذو قدرة على استيعاب التناقضات

[1] المقابلة رقم 8 .

[2]Ibid., p82.

و التعدد ، لذلك نقدر أن ما نواجهه اليوم أقرب لنموذج هجين يساير خطى التغير دون أن يتنصل من كل ما يجمعه بالماضي .

"***سي فري الانسان راه عايش وحده بصح مازال محافظين على بزاف صوالح ...ماراناش قور... تروح تولي ماكانش لي يسمح في والديه ولا خوته*** "[1] ، ، "***تسمى ولدي الكبير كابر عن جده على خاطر قرايته ومن بعد بروحه والف تم ...***"[2].

معادلة صعبة تلك التي نروم فك ألغازها لكن هكذا هو المجتمع! فظاهرا استقلت الأسر النووية بجي الوئام سكنيا عن أصولها، أمر يؤكده توجه أغلب مبحوثينا لكن ذلك لا يعني انفصالا اجتماعيا بالضرورة . بل يمكن اعتماد مدة الإقامة مع أسرة الزوج قبل الانفصال عنها كمؤشر على تباث بعض القيم، خاصة عندما نجد أنها تتروا ح عند مبحوثينا كعينة مصغرة بين السنتين والسبع سنوات [3].

من خصائص الأسرة النووية الحديثة قدرتها على الاكتفاء الذاتي والانطلاق بعيدا عن الأصول ، في حين أن هذا التعريف العالمي لا يصدق على مجتمعنا الجزائري بالضرورة . فالحاصل أن تحقيق الرغبة في السكن خارج أسرة الزوج يمر أولا عبر ما يبرره اجتماعيا ليكون متقبلا أي أن ضرورات العمل و ضيق المسكن الجماعي للأسرة الممتدة هي مقدمات منطقية لتقبل ذلك الانفصال . و من جهة أخرى فإن المسكن الفردي بالشقة لا يفقد الأسرة النووية الجزائرية صلاتها بالأصول من حيث الانتماء ، الشعور، ضرورة التضامن ، الزيارات المتكررة ،...الخ.

---

[1] المقابلة رقم 11.

[2] المقابلة رقم 2.

[3] مدة الإقامة عند أسرة الزوج تباينت عند مبحوثينا لكنها تحمل دلالات مهمة حول وجود مرحلة انتقالية قبل الانفصال .

" مين تجي تشوف ما راناش نتلاقو كل يوم بصح مين تجي الفرصة ما راطوهاش كيما لي فاكونص رمضان لعياد " [1].

تملك صفة الهجين القدرة على التعبير بشكل أدق عن واقعنا ، لأن الماضي بما يحمله من منظومة قيم ، عرف اجتماعي ، أساليب الضبط الاجتماعي ، لم يعد قادرا على الاستمرار ، وفي المقابل لم يندثر ماضي الأسرة الممتدة كليا طالما " نستطيع القول أنّ أدوار الزوجين والأبناء، الزواج، الطلاق، وضعية المرأة، القرابة والميراث، تعدّ كلها دلائل على إبراز الواقع الجديد للأسرة الجزائرية المتغيّرة، كلّها خصائص أسرية عبَرت عن الانتماء الثنائي للثقافتين: تواصل تأثير الثقافة التقليدية إلى جانب تأثير مستمر وعميق للثقافة العصرية."[2]

إن الهجانة أسلوب حياة مستحدث تتداخل فيه أنماط سلوكية متعددة و تتعايش بداخله مكونات من الماضي مع أخرى تمثل الحاضر جنبا إلى جنب. فاستبدال المسكن الجماعي الواحد الذي تتقاسم فضاءاته و يتعاون على نفقاته بانفصال مجالي و اقتصادي سمح للأسرة الممتدة بأن تتكيف مع الواقع بدل أن تفقد وجودها .. " لعل ما يميز العائلة المحلية أنها عائلة في مرحلة الانتقال من النمط التقليدي أي الخاضع لقواعد و لعلاقات ثقافية و اجتماعية تقليدية إلى نمط عائلي جديد يريد لنفس الحداثة و العصرنة فكرا وسلوكا من الناحية الاجتماعية و الثقافية الاقتصادية."[3]

---

[1] المقابلة رقم 1.

[2] فتيحة حراث، القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية، انسانيات عدد 59 ، 2013ص53.

[3]سعيدي محمد، العائلة، عاداتها و تقاليدها بين الماضي والحاضر الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا، إنسانيات عدد 04، 1998 ، ص44.

إن هذه النقلة العائلية من نمط آخر لم تكن سالمة ولم تكن بريئة أو مجانية، فقد أصابت الذات العائلية في عمق كيانها وفي جسدها الاجتماعي و الثقافي، حيث زلزلت بنيتها الداخلية وفتت عناصرها منتجة بذلك في كثير من الأحيان صراعات عنيفة بين الفرد و العائلة والمجتمع الأمر الذي أدى في كثير من المواقف و المواقع إلى بروز الظاهرة الازدواجية الثقافية والاجتماعية في بعض الممارسات لدى العائلة الواحدة . لا أدل على ذلك من مقارنة الماضي بالحاضر أين أمكن التعبير عن الحاجات السكنية بطريقة ذكية تجعل العائلة الواحدة تتقاسم مسكنا فسيحا مجزءا لبيوتات أصغر ، أو عن طريق مجمع سكني تتراص فيه المساكن لتشكل كلا .[1] أما اليوم فلا نلمس اختفاء مكانة الجد و الجدة ، العم و العمة ، الأقرباء على درجاتهم ، إنما استبدلا للتواجد المشترك بانفصال مجالي . لم تختفي قيم التبادل والتضامن و الاحترام كليا، بل عوضت بتقليص حجم ذلك التبادل ، التضامن و استمر الاحترام كقيمة توجه السلوك و إن ضعفت شدة الروابط .

تتطلب الأنظمة الهجينة سواء في عالم المادة أو عالم البشر الابتعاد عن فكرة الصراع و الأحادية، لأنها تتيح بدائل جديدة تتناسب ووضعيات لم تكن ممكنة من قبل. هكذا هي حال المجتمع اليوم عندما نقاربه بشكل أكثر تفتحا سنجد أنه لا يكرر الماضي و لا يدير له ظهره بشكل كلي ، إنما يحاول تسيير المرحلة الحالية بمقتضيات جديدة عندئذ يتضح أن ما نورده ليس تناقضا بل جزءا من تعقيد الظاهرة الاجتماعية و ثراء مكوناتها . فحياة الأزواج بحي الوئام تدلنا على مظهر من مظاهر التغير الاجتماعي لكنها لا تفصح بالضرورة عن كل ما يربطها بالتقاليد والممارسات المكتسبة اجتماعيا. شبهة تلك التي تقودنا نحوها ملاحظة تكرار شكل الحياة داخل الشقق بالسكن الجماعي، لأنها تخفي عنا جزءا كبيرا من التفاعلات التي تتم بمعزل عن البعد المجالي بين أعضاء

[1] امحمد حمداوي ، مرجع سبق ذكره ، ص26.

الأسرة النووية وأصولهم. كما أنها لا تكشف لنا ما استطبنه الأفراد من أنماط السلوك والقيم الاجتماعية داخل أسرهم الممتدة الأصلية والتي تنتقل معهم إلى مساكنهم الفردية.

خاتمة

بعد كل ما عرفته الأسرة الممتدة على مر الزمن في المجتمع الجزائري من تحديات كان لا بد أن تترك مكانها لنموذج مغاير قادر على مسايرة الظروف الجديدة و السياق المجتمعي الراهن . وبعد أن برز نموذج الأسرة النووية نكتشف أن هذه الأخيرة لم تأتي للقضاء كليا على سابقتها ، إنما استفادت من بعض القيم و الممارسات التي تضبط العلاقات و الروابط الاجتماعية في صيغة جديدة تجعل منها مركزا ومنطلقا لتمثلات جديدة .

الفصل الثاني :

التربية الأسرية من منظور التغير الاجتماعي

تمهيد:

تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الأبناء ،فهي المسؤول الأول على إعدادهم وتهيئتهم للحياة عبر غرسها قيم ثقافة المجتمع بما تحمله من عادات ، أعراف ، وقواعد السلوك لدى الأجيال المتتالية سعيا للحفاظ على هوية المجتمع وبقاءه . فالتربية من الوظائف الأساسية للأسرة كونها تهدف للارتقاء بالفرد عبر احداث تغييرات إيجابية في شخصيته من خلال كم المعارف و القيم التي تنقلها .

1التربية الأسرية: مقاربة نظرية

1-1 ماهية التربية

إن الاتفاق الحاصل حول ماهية التربية لغة_ بمعنى الزيادة و النمو و بمعنى الإصلاح و تولي الأمر وهو ما تفيده كلمة Educationالفرنسية [1] _ لا يتكرر حول ما يمكن الاصطلاح عليه بأنه تربية لدى الباحثين و المفكرين. " فتربية الانسان تعني تطوير قدرة الانسان الموجودة في فطرته ، أي تطوير قواه العقلية و الوجدانية و الجسمية و الاجتماعية كما أنماط سلوكه في النظام الاجتماعي "[2]. كما أن التربية تعني الاشراف على تربية واصلاح وتعديل وابراز قوى الانسان وامكاناته وتختلف مفاهيمها حسب الفلسفات الاجتماعية التي تحدد سياسة التربية في المجتمعات الإنسانية. تشير التربية أيضا في معناها الواسع إلى أي فعل أو خبرة لها أثر في صياغة عقل الفرد أو خلقه وكذا قدراته الجسمية ، أي اعداد الانسان لما ينبغي له قصد بلوغ غاية التكيف الاجتماعي وتنمية الشخصية لأنها عبارة عن تطبيع مع الجماعة و تعايش مع الثقافة .

كما تعتبر " عملية فردية اجتماعية تتعامل مع فرد في مجتمع تنقل إليه معارف و مهارات ومتعقدات ولغة الجماعة من جيل إلى جيل، والانسان هو موضوع التربية تعنى بسلوكه و تطويره لكن ليس بعيدا عن الجماعة لأن الذات الإنسانية إلا في مجتمع انساني "[3]

من خلال كل ما سبق يتضح أن التربية تستمد أصولها من المجتمع رغم كونها وسيلة لبقائه واستمراره. انها تستفيد من مؤسسات اجتماعية لتحافظ على هوية الفرد وتتربع الأسرة على عرش تلك المؤسسات.

---

[1] أحمد علي الحاج ، أصول التربية ، دار المناهج للنشر و التوزيع ، ط1 ،الأردن، 2013، ص14.

[2] الخوالدة محمد محمود ، فلسفات التربية التقليدية و الحديثة و المعاصرة ، دار الميسرة ، ط1 ، عمان الأردن ، 2013 ، ص32 .

[3] رأفت البويهي و آخرون ، أصول التربية المعاصر ، ط1 ، دار العلم و الايمان للنشر و التوزيع ، ص46.

1-2أهداف التربية

للتربية أهداف كثيرة تتنوع بتنوع ما توظف لأجله، ويرى أفلاطون أن الهدف من التربية هو "أن يصبح الفرد عضوا صالحا في المجتمع و أن تربية الفرد ليست غاية لذاتها و إنما هي غاية للغاية الكبرى وهي نجاح المجتمع و سعادته " [1]. هذا ما يجعلنا نستنتج أن هدف التربية يتمثل في كونها تجعل الانسان مخلوقا يعيش ضمن اطار اجتماعي ذو تقاليد و نظم، قيم و معايير و أفكار خاصة به . فالتربية " عملية تعليم و تعلم لأنماط متوقعة من السلوك الاجتماعي ومادتها هي الانسان دون غيره من الكائنات الحية الأخرى "[2].

تكسب التربية الفرد حضارة الماضي و تمكنه من ممارسة الحاضر بينما تهيئه لعيش المستقبل عبر التطور ، الاضافة و الاختراع ، كما أنها تزود أفراد المجتمع بالمواقف التي تنمي التفكير لديهم و ترقي سلوكهم ليساير سلوك المجتمع .

1-3خصائص التربية

اكتست التربية أهميتها من أهمية ما تقدمه للفرد وما تتيحه له مستقبلا عندما يكبر ، ولأن لكل مجتمع خواص تميزه عن غيره فإن المختصين يراعون عند صياغة المناهج التربية وجود ما يميز مجتمعا عن غيره . و يترتب على ذلك أن للتربية خصائص مميزة تثبت صلاحيتها ومنها ما يلي:

- المفاهيم الدينية كالعدل و المساواة العقاب و الثواب ، الإحسان ...إلخ
- البعد عن الضغط لأن وضعية الضغط الشديد تؤدي إلى نتائج عكسية لما يرجى من التربية لكن وبنفس الطريقة قد يؤدي الإهمال و التساهل المبالغ فيهما إلى نتائج سلبية بدوره..

[1] رابح تركي ، أصول التربية و التعليم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990، ص 19 .

[2] شريف عبد القادر ، التربية الاجتماعية و الدينية في رياض الأطفال ، دار ميسرة ، مصر ،2007، ص30.

- الاستمرارية إذ أن أهم خصائص التربية ينبثق عن كونها عملية مستمرة تلازم الانسان طيلة حياته
- الشمول وهو أن التربية لا تقتصر على جانب دون غيره بل تعم مناحي الحياة ككل .
- الواقعية باعتبار التربية وسيلة ثم غاية فواقعيتها لا غبار عليها و الا صنفت مع كل ما هو مجرد .

2- **تغير داخل المجتمع و مجتمع يتغير باستمرار**

إن التغير الاجتماعي يحدث في كل مكان و زمان بمعدلات متفاوتة فلا شيء ثابت باستثناء الموت و الفناء، بينما ينتج سلوك الإنسان عن تغير الأحداث والمؤثرات عبر الزمن. إننا عندما ندرس السلوك فنحن ندرس الوجه الحاضر منه ولم ندرس كيف كان من قبل لأنه صنيعة المؤثرات المتبدلة و المتغيرة ، أي أن التغير يمكن قياسه من خلال مقارنة السلوك الإنساني بين ماض وحاضر .هذه الفكرة تستند إلى ما ذهب إليه دوركايم حول التغير الاجتماعي الذي استقاه من تحليل سلوك الفرد الاجتماعي عندما وجده متضمنا حياته الماضية و الحاضرة من حيث كونه عبارة عن سلسلة تبدلات و تحولات عمرية ، ثقافية ، و اجتماعيه تمتد جذورها إلى الماضي القريب و البعيد معا تم تعديلها و تحويلها إلى سلوك مقبول من قبل المجتمع في الوقت المعاصر إذ قال : "لكل واحد منا في داخله جذور ترجع إلى الأمس ترعرعت بأحداث اجتماعية ماضية و حاضرة ، فنحن لا نمثل الماضي بشكل كامل و لا الحاضر بصورة تامة ، لأن ما هو حاضر يكون له قواعد في الماضي تطورت لتصبح جزءا من ذواتنا وكل ما يمثل الحاضر لم ينشأ بشكل مستقل عن الماضي"[1].

تتغير طبيعة المجتمع الإنساني باستمرار إذا لا توجد توقفات مستديمة له وإن وجدت فهي مرحلية ، فضلا على أن سلوك الانسان يتبدل كذا الحال مع قيم الجماعة و النظم و الأنساق

[1]ROBERTSON R, Meaning and change: Explorations in the cultural sociology of modern societies, Basil Black well, Oxford ,1978, p10.

البنائية و الثقافية ، لكن نوع و طبيعة التغير يختلف من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية لأخرى متأثرة بعدد و قوة تأثير المتغيرات على نوعه و طبيعته ، بيد أن الشيء الثابت هو أن المجتمع الإنساني يتغير باستمرار . فالتغيرات التكنولوجية و الاقتصادية للقرون الماضية أحدثت تغيرات جذرية كونت عالما جديدا بكامله ، مثلا نجد أن نظام تقسيم العمل في المجتمع قد تغير بعد أن كان ثنائيا في الماضي قائما على الجنس (ذكر و أنثى) ليصبح متشعبا قائما على تخصصات دقيقة تعتمد إحداها على الأخرى . لذلك نجد أنه داخل المجتمعات الصناعية يكون التغير مقصودا حيث هناك أنشطة عديدة و متنوعة من أشكال التغير تخضع لرؤى مفكر فيها مسبقا يتصدرها مروجو الأفكار التقنية والمسوقون في المجال الاقتصادي رغم ذلك فإنهم ناذرا ما يتصورون أو يتخيلون جميع الآثار التي تفرزها أنشطتهم مقابل الصبغة الطبيعية للتغير الاجتماعي .

إن بعض التغيرات الاجتماعية تمثل تحولا جوهريا و بعضها الآخر لا يتعدى كونه صدى أو ذوي للتغيير ومثل ذلك ما تنتجه موضة الألبسة و قصات الشعر لدى الشباب . أما في الجانب الآخر فنحن لا زلنا نكيف أنفسنا للمؤثرات الثقافية القوية كالحاسوب مثلا ، الأنترنيت و الثورة الرقمية ذات الآثار السلبية على المدى البعيد لدرجة تمس ما يتعلق بالحياة الشخصية .

نخلص إلى وجهة نظر مميزة يتبناها معن خليل العمر مفادها أنه عندما يتفق الأفراد حول ما يعتقدونه أو يجدونه صائبا لهم و نافعا لوجودهم ويخدم مصالحهم كما يسير سلوكهم اليومي وينظم مطالبهم و غاياتهم حيث يحصل شيء من التأثير على هذا الاتفاق من قبل عامل خارجي أو داخلي مما يجعله مختلفا مع ما تم الاتفاق حوله بين الناس[1].

[1] أنظر معن خليل العمر ، التغير الاجتماعي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2004، ص28.

3-الظاهرة الجيلية كنوع من التغير الاجتماعي

يمكن التمييز بين ما يعنيه التغير و التطور من منظور بارنسوس ، حيث يفرق بينهما باعتبار الأول يحدث خلال فترة زمنية صغيرة نسبيا لدرجة يتمكن فيها الفرد الواحد من متابعته ، في حين يمتد الثاني على فترة أطول تحتاج لتعاقب أكثر من شخص لمتابعته . نتحدث هنا عن ظاهرة الأجيال التي تعبر عن فترات من الزمن يشترك فيها الأفراد بتقاسمهم ظروفا مشركة و تجارب جماعية تصنع منهم جماعة في الزمن تتميز عن غيرها من السابقين و اللاحقين. هكذا تتعاقب الأجيال عبر خط زمني متواصل ، لكن بكل ما يجعلها تختلف عن بعضها . الأجداد و الأحفاد مرورا بالآباء، ثلاثة حقب زمنية مرتبطة ببعضها لكن متمايزة. غريب كيف ينتج جيل الأحفاد بمميزاته، ثقافته، تفضيلاته من صلب جيل آباء لا يقاسمه أغلب ما سبق ! وكيف يحدث ألا يتكرر جيل الأجداد لدى الأحفاد وبينهما رابط قوي؟ ***" وين تصيب ليوم واحد كيما جدك ولا جدي ، جيل ما يتعاودوش ... جيبهم ليوم تشولا يطيقو يعيشو معانا كل شي تبدل ، والدينا وراهم يشتكو من هذا الوقت ويقولك لي مات ريح ولي راه حي راه يفوت في ياماته ، العيشة صماطت عليهم مابقاش القدر الاحترام و الكلمة ما تسعاش ...كان الراجل راجل و المرة مرة ...عاشو يمات حلوة كيما يقول با قلة الشي بصح وقتهم مليح ".***[1]

البحث عن إجابة مقنعة بالاستعانة بالتربية سيكون تعقيدا للمعضلة و ليس حلا لها. لأن صلة الوصل بين الأجداد والآباء فالأحفاد ليست سوى التربية نفسها التي يتلقها جيل من جيل سابق له

[1] مقابلة رقم 10.

خاصة وأن الأجداد يمثلون " ...الرموز التي تتجسد في الذاكرة الجماعية والتي تسير المجتمع ... وفق قانون لا متناهي من القيم و المعايير "[1].

تبرز قيمة الظاهرة الجيلية عندما نتمكن من استيعاب التناقضات بين محاولة المجتمع تكرار نفسه مقابل ما يستجد به وبطريقة مخالفة. فليست التنشئة الاجتماعية قانونا حتميا يكرر المجتمع، ليست مصنعا يستخدم آلات تحول مواد خام ليفعل بها ما يشاء، بل محاولة ترمي لإعادة الإنتاج التي تخضع لقوانين البشر. " ***رانا نعييو وربو ونقرو وماضامنينش... الانسان يديرلي عليه ويدعي الجنان يسجاله ...كي دايرين والديهم مسقمين وناس تاع قمنة بصح ولادهم ما يصلحوش ... لي نبقى حاير فيها والدينا كي رباونا ماكانو قارين ماوالو بصح فاهمين ...ثاني الضرب نقص بكري لي يجي يضرب وشفت الناس كي كانت مسقمة والقدركاين*** "[2].

ما لا يستوعبه أفراد المجتمع من اختلاف أحوالهم عن سابقيهم يمثلون جزءا أساسيا منه ، كونهم يجمعون بين نوستالجيا الماضي دون أن يملكوا ما يكفي من الرغبة أحيانا أو الإرادة لتحقيق صورة ذلك الماضي مما يترك هوة بين ما كانوا عليه هم و آباؤهم وما عليه أبناؤهم . هناك دائما مجال لتكون المخرجات مختلفة عن ما يخطط لها ضمن نسق اجتماعي، حتى إعادة الإنتاج من منظور بورديو تحتاج لتباث في توازن المجتمع بين مهيمن ومهين عليه وشروط يتحقق عبرها استنساخ الطبقة الاجتماعية بممارساتها و ثقافتها . يتبث لنا تاريخ البشرية بل تاريخ المجتمع الجزائري لوحده حجم الاختلاف داخل نفس المجتمع ، عندئذ نتيقن أن تكرار النموذج التربوي لا يمكنه الصمود أمام الظاهرة الجيلية كقانون اجتماعي ينبهنا لقدرة المجتمع على مسايرة التغير كي لا يندثر .

---

[1] اسعد فايزة زرهوني ، العادات الاجتماعية و التقاليد بين الاعتقاد و الممارسة في الماضي و الحاضر : عادات الزواج و الختان ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، 2018،ص65.

[2] المقابلة رقم 8.

" ولادنا راهم حاصلين غي مع شعوراتهم ... بلا ما نهدرو على اللبسة هذيك قضية وحد أخرى ، كل يوم الجديد عندهم ما قد فيهم قداد ...". يحدث أنه عندما تفقد بعض من معالم المنظومة القيمية تفشل الأسرة في تمرير قناعة ما من جيل لآخر ، كما يمكن للأذواق أن تتغير بفعل الموضة كما تعجز التربية في كل الحالات عن تقديم الحلول كل الحلول لمواجهة المستجدات من أمور العصر وأزماته، هنا يتحرك الأفراد و يجتهدون من أنفسهم فيستحدثون أمورا و يتخلون عن غيرها. وفي هذا الصدد تشير الباحثة اسعد فايزة إلى ما يبدعه أفراد المجتمع الجزائري فيما يتعلق بعادات وتقاليد الختان والزواج كي لا تندثر فيكيفونها بما يسمح لها بالاستمرار في سير المجتمع نحو الحداثة والعصرنة.[2] ورمزية التقاليد في رسوخها مدة من الزمن داخل المجتمع وتمكنها من سلطة تخضع الأفراد إلى حين يتوجب عليها مسايرة المستجدات.

ليس سرا أن الأزمات الاقتصادية أو الحروب تخلف تحولا جذريا في طريقة التفكير وأنماط السلوك التي يكتسبها الأفراد دون أن تنتمي إلى مجموع ما ربوا عليه ، لأنهم سيتلقفون ما استجد من طرق التعامل مع الظروف الصعبة و يتخذون منها أسلوب حياة بدل ما كانوا عليه خاصة عندما تخنق الأزمات البشر فتتغير أولوياتهم وكذلك أخلاقهم و تسمح الحروب بتجاوز كثير من الممنوعات الاجتماعية و ما تنص عليه القيم في حالات السلم . في الجهة المقابلة يمكن لتحسن المستوى المعيشي وتبني نمط حياة أكثر رفاهية أن يغير الأمور . لا أفضل في هذا المقام من ابن خلدون الذي يفسر لنا كيفيات اختلاف الأجيال من أصل واحد بمجرد اختلاف نمط الحياة الذي يضطرون لمواجهته. " ...لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش

[1] المقابلة رقم 7.

[2] أنظر اسعد فايزة زرهوني ، مرجع سبق ذكره ، ص 235.

والبسالة ...والجيل الثاني تحول حالهم بالملك و الترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ...ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة ...و أما الجيل الثالث فسينهون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ".[1] بذلك لا يعتبر غريبا أن ينحدر جيل مختلف تماما عن سابقه .

4-تمثلات التربية بين ماض وحاضر

يمكن أن نعتبر التمثل نشاطا عقليا و بناءا للواقع انطلاقا من المعلومات التي يتلقاها الفرد عبر حواسه ومما جمعه عبر تاريخه الشخصي. حيث أنها تظل محفوظة في ذاكرته إضافة إلى أخرى يحصل عليها من خلال العلاقات التي تربطه مع غيره من الأفراد أو الجماعات. كل تلك المعلومات تؤسس لنظام معرفي شامل ومنسجم بدرجات مختلفة يسمح للفرد أن يجعل من مظاهر الوجود منظومة تسمح بفهم ذاك الأخير بل والتأثير عليه.

في سياق متصل مع ما سبق يعرف دوركايم التمثلات الاجتماعية بأنها مفهوم مشترك بين أفراد الجماعة يتضمن الانتساب و التشارك . ومن جهة أخرى فهي تقرب أعضاء الجماعة من بعضهم البعض و تحافظ على الروابط التي تجمعهم . إنها مدركة بطريقة جماعية بشكل يجعلها تدوم ، ثم فهي منتوج جماعي في نظره لأنها " تعتبر منتوجا اجتماعيا مشتركا بين الجميع من باب كونها مؤلفا جماعيا ، ولعدم حملها لبصمة ذكاء فردي لذلك فهي تعبر عن ذكاء يلتقي حوله الأشخاص ويتحدون جماعيا ". فالتمثلات الاجتماعية عند دوركايم منتج جماعي تشارك في إنتاجه وبنائه الجماعة كمجموعة من التراكمات المقياسية، المعرفية، القيمية.

في وقتنا الحاضر لا يتوقف مجال التربية يتسع لذلك تبرز الحاجة للاهتمام به أكثر فأكثر على مستوى تخصصات عدة تبحث في قضاياه ومشاكله. في حين تسمح المقارنة بين ماضي التربية

[1] ابن خلدون ، مرجع سبق ذكره ،ص 201-202.

وحاضرها من رؤية الفروقات والتغيرات الحاصلة عبر تعاقب الأزمنة. والأساليب التربوية هي ما يصنع الفرق، فلن تتغير الحاجة للتربية ولن يثار نقاش حول ما إذا كان المجتمع قادرا على تجاوز العملية التربوية لأن المتغير هو طرائق وأساليب التربية.

نجد أن التربية في الماضي اقتصرت على الأبوين كمصدر للمعرفة بشكل أساسي أي داخل الأسرة، ثم المسجد فالمدرسة بتوفر أدوات بسيطة جعلت نتائج التربية ملائمة للسياق الاجتماعي والثقافي للحقبة الزمنية الماضية. ما جعل ذلك التوازن ممكنا أن مواضيع التربية تركزت حول الحرف اليدوية والمعرفتين التراثية والبيئية ومنه سهلت الأمور بالنسبة للوالدين كقائمين على التربية والتوجيه المباشر للأطفال. لكن ومع تطور ظروف الحياة و ازدهار العلوم بأنواعها أصبحنا نعيش تعددا في المصادر المعرفية للتربية. وهنا تربعت التقنية على عرش المعرفة التي اكتسبت طابعا تراكميا يستفيد من خبرات الماضي وآخر مستكشف يتوجه نحو المستقبل. هذه التقنية سهلت على الوالدين نواحي تربوية معينة لكنها في نفس الوقت صعبت وعقدت من مسؤوليتهما. النتيجة أن تفاقمت الفجوة بين أساليب التربية القديمة والحديثة مما فتح المجال واسعا أمام تضارب النماذج وتضاد المصادر حتى داخل الأسرة الواحدة مما انعكس على العلاقات الأسرية.

من غير المجدي المقارنة بين طرائق التربية ونتائجها عبر فترات زمنية مختلفة فكل من الماضي والحاضر مرتبطان بمجتمعين متمايزين لكل منهما أدواته ومصادره التي تتلاءم والسياق العام لكل فترة زمنية. نعيش اليوم في زمن تتقاسم فيه التربية بين مصادر متعددة ومتنافسة فيما بينها مما يضطر الوالدين لتكثيف التوجيه والاشراف على أبنائهم بالتركيز على ما يقوى العلاقة بينهم. تبرز هنا قيمة المرونة في التعامل و ضرورة تجاوز التلقين و فرض الرأي بعيدا عن سياسة الحوار التي تقتضي منح الحرية للأبناء و الاشراف عليهم بالتوازي وحجم الحرية الممنوحة لهم . يتحقق هذا

الأمر بوضع ضوابط متفق عليها مسبقا بين أفراد الأسرة عندئذ يتحول الحوار الجريء لعملة رائجة داخل الأسرة فيتسع معه الوعي والإدراك عند الأبناء فتتضح الرؤيا الجماعية المحددة للسلبي والايجابي من الأدوات التربوية المستخدمة. فمن النقائص المسجلة حاليا ضعف ثقافة الوعي التربوي بل وفقدانه لدى كثير من الآباء مما يقطع الطريق مباشرة أمام التعبير بحرية و سلوك النقد و تعويضهما بالتكتم والتظاهر بعدم وجود أي مشكلة. وعلى العكس تماما من هذه الوضعية فالمرجو والمأمول أن ينتهج الآباء منطق تفسير وتوضيح الأمور لأبنائهم بدل إخفائها بسبب الخوف على الأطفال أو عدم القدرة على التحاور والإقناع. إن التربية الحديثة قوامها العقل و المنطق لأن ممارسة النقد الفكري دافع بل ضرورة لتطور عقل الطفل خاصة في ظل وجود مصادر معرفية و علمية متنوعة . يضاف لما سبق تغذية الجانب الديني بتعزيز العاطفة عند الطفل و كذا أدواته الفكرية ، لأن الممارسات الدينية من شأنها ترقية النفس و التصالح مع الذات ثم ينعكس ذلك كله على علاقة الفرد مع غيره .

" مين كنا في دار راجلي كانو يدخلوا في ولادي وما يعجبنيش الحال بصح كنت نتصرف بهدوء ..."[1]

" ماكانش لي يدخل في تربية ولادي وراني ناجحة ولم يفلت أحد منهم ، في وقت مضى وفي بعض المواقف الأسرية كاين محاولات وين تعاملت بالسياسة وعقلانية ولم أوافق على التدخلات"[2]

في الماضي اعتبرت التربية شأنا مجتمعيا يلقى على عاتق المجموعة المتكونة من أفراد الأسرة الممتدة ، الأقارب ، الجيران ...إلخ قبل أن ينحصر الأمر حاليا في ما يقوم به الوالدان . الاتفاق الضمني الذي كان قائما في الماضي مفاده أن موقع الكبار في السن يتيح لهم توجيه سلوك الأطفال كل

[1] المقابلة رقم 2.

[2] المقابلة رقم 4.

الأطفال و ليس من ينتمون للدائرة الأسرية المقربة فقط . بل برر العرف قديما تأديب و معاقبة أطفال الغير و كان ينظر لهذا السلوك بطريقة ايجابية مثمنة من طرف الكل . إن مكانة الأكبر سنا كانت سببا كافيا في مباشرة سلوكيات تربوية قد تكون ظرفية أو متكررة نيابة عن الآباء الحقيقيين فشعار الماضي أن " الكل يربي " والأبناء أبناء الجميع. نتج عن هذه الوضعية رقابة اجتماعية معممة تحد من احتمال السلوكيات السيئة أو الخروج عن القواعد الاجتماعية، فالكل مجند ليمثل تلك القواعد و في أماكن مختلفة تجعل الأطفال يستفيدون من مرافقة اجتماعية دائمة أينما حلوا ولو تواجدوا بعيدا عن أهلهم فالمجتمع كل المجتمع حاضر ليذكرهم بما يجب و ما لا يجب فعله . ربما يمكننا وصفه بأنه شكل من التضامن التربوي خاص بمجتمعنا في الماضي لم يعد موجودا في عصرنا هذا ، غيبه انحصار الروابط الاجتماعية و طغيان الفردانية والحريات الشخصية.

" ما نقبلش واحد يتوشي ولادي هنديك كانت بكري ...كل طفل عنده والديه أهدر معاهم الصغير خاطيك وكيما مانبغيش على ولادي ما نتوشيش ولاد الناس ".[1]

من زاوية أخرى فإن تقاسم الأدوار التربوية داخل الأسر الممتدة خفف من ضغط المسؤولية في الماضي و سهل من تربية الأبناء من حيث هي نشاط موزع و لا ينحصر على مستوى الزوجان اللذان يواجهان اليوم كثيرا من مظاهر التمرد بمفردهما في حين كان الجو العام الخاضع لسلطة الأب المهيمن، الجد، العم الأكبر قادرا على كبح كثير من التجاوزات. أبعد من ذلك مكنت سلطة الأب الراعي للأسرة الممتدة من تغطية استقالة بعد الأولياء في موضوع التربية لأن لا مكان للفراغ الذي يشجع على تمرد الأطفال و في حالة تقاعس الوالدان عن تربية أبنائهم فالمرافقة التربوية كانت تتم

[1] المقابلة رقم 9.

بتلقائية ودون أن شعر الأبناء بوجود هامش من الحرية أو يستشعروا قدرتهم على مخالفة القواعد الاجتماعية طالما أن هناك دائما من يمثلها و يسهر على احترامها.

"عندي عمي ماكانش قاع يضل فالدار عند جدي وولاده كبروا وترباوفي وسط عمومي مين كان جدي حي و من بعد راح فرونسا ..."[1].

إن من مظاهر انحصار الدور التربوي داخل حدود الأسرة النووية الرفض القاطع لتدخل أطراف أجنبية في تربية الأبناء أو مجرد توجيه سلوكهم. هذا التراجع لسلطة المجتمع يعبر عن نقلة نوعية للمجتمع ترسم حدا فاصلا مع ممارسات الماضي ، لهذا تعتبر أقوى آثار التغير المجتمعي تلك التي تحوله من حال إلى آخر مغاير تماما تدريجيا و مرور الوقت حيث تستبدل المعايير و القيم السائدة و تعوض بأخرى مناقضة لها . من غير المعقول حاليا السماح لجار أو قريب بعيد بالتدخل لتوجيه سلوك الأبناء ،بل إن ذلك يكيف فضولا غير مقبول و مبالغة في استخدام السلطة و عادة ما يدفع لأبعد من الامتعاض بالانتقال إلى التدخل لمواجهة ما تم القيام به إلى أن تتطور الأمور أحيانا إلى مرحلة الشجار .

<u>5-والدان فقط وطفل</u>

من بين ما وقفنا عليه من خلال بحثنا هذا بروز نموذج مثالي _بتعبير فيبر _ للأسرة النووية أو ما اختصرناه في جملة " والدان و طفل " . و المقصود بذلك صورة الأسرة الحالية التي تعلن عن محدودية نطاقها والعلاقات الاجتماعية بداخلها . و طالما أننا نذكر فيبر فمن المهم التذكير بأن صفة المثالية التي نلحقها بالأسرة لا تعني الأحادية بأي شكل من الأشكال بل إن الأسرة المتكونة من والدان و طفل هي نموذج مثالي يمكن اعتماده لدراسة الأسرة النووية كتمثيل للواقع و ليس تعبيرا

[1] المقابلة رقم 11.

عنه وعن كل تفاصيله . إنه التركيز على الخصائص المشتركة لا غير لأن ميدان دراستنا يحتوي أسرا من والدان و ثلاثة أطفال و أكثر . لقد تم اختزال كينونة الأسرة في نموذج مصغر محدود يحقق أبسط مظاهر التواجد الاجتماعي ، بل قد لا نبالغ إذا قلنا أنها عودة للماضي السحيق عند بداية الأسرة . نعم كانت بدايات الأسرة متواضعة تبعا لمجريات تطور الجنس البشري ، حيث لن يختلف اثنان حول أن أقدم أسرة عبر التاريخ تشكلت من زوجان تحولا مع مرور الزمن إلى والدان يقومان بالسهر على تربية و رعاية أطفالهم الواحد ثم الآخر إلى أن تشعبت الأمور . لذلك و كأن التغير الاجتماعي المصاحب للظروف المتبدلة كل مرة حدد مصيرا للأسرة أشبه بماضيها البعيد . بشكل متناقض نقول أنها عودة في الزمن عبر المضي قدما و تخطي المراحل التاريخية ، خاصة و أن تحديات النماذج التربوية الحالية تحيلنا إلى التساؤل بجدية حول مصير تراكم المعرفة التربوية التي حصلتها البشرية مقابل ما يمارس اليوم على مستوى الأسرة النووية الحالية ؟.

نعيش اليوم بعيدا عن صورة هيمنت في الماضي تراجعا في حجم الأسرة وتشظيها . لذلك وكما سبق ذكره فإن احتواء كل شقة لعدد محدود من الأفراد بشكل يجمع الوالدان بأطفالهما غيب من جهة الأب نماذج العم و العمة و أبنائهما ، كما الجد و الجدة و الأمر نفسه يقال عن جهة الأم . ما فقد عبر النموذج المثالي للأسرة النووية هو الجو العائلي بحميميته وما ينجر عنه من كثافة العلاقات الاجتماعية و كذا الروابط الاجتماعية ، و أبرز ما نتج عن هذه الوضعية تنوع الممارسات التربوية التي تعبر عنها الأسرة النووية الحالية . لأن الآباء و الأمهات في سعيهم الدائم لتربية و تنشئة أطفالهم تبعا لاختلاف مشاربهم و اتجاهاتهم ، بل و حتى أيديولوجياتهم تماشيا والبيئة التي يعتبرون جزءا منها ، يتبنون نماذج تربوية مختلفة تؤسس لسلوكياتهم التربوية . فيعتقد بعضهم بأن تحقيق الطاعة أولى الأولويات بالنسبة للأطفال ، وتميل هذه الأسر لاستخدام العقاب

الجسدي رغم أن من نتائج هذا الأسلوب سيطرة الخوف على الأطفال المثبط لتطور شخصياتهم أو تمردهم كردة فعل على عدم تقبل الأمر الواقع ." ***إذا ولاداك ما تعلموش يطيعوك فالصغر تحصل فيهم من بعد ،حنا والدينا رباونا على الطاعة و الضرب لي كلیناه مين كنا صغار هولي ربانا ودروك رانا رجال".***[1]

بالمقابل نجد آباء من نوع مغاير تماما لسابقيهم ينطلقون في سلوكياتهم التربوية من خلفية أقرب للامعيارية و العشوائية ، حيث يتوقعون أن الأصلح للأطفال معرفتهم للصواب و الخطأ بمفردهم عبر اختبار الواقع المعيش وقدرتهم بعد ذلك على اتخاذ القرار بأنفسهم دون تدخل مباشر من ذويهم ." ***خطرات الولاد يليق تخليهم يدبرو راسهم باش يقساحو شويا راني نقول لولاد ، كنا صغارنروحو وحدنا للبحر ونهودوللبور...نعقل عليها غاية تمرمدنا ولعبنا وكبرنا ".***[2]

لم يطلع بالضرورة الأولياء بحي الوئام على فلسفة روسو التربوية لكن لنا في هذا النموذج شبه مع فلسفة روسو التربوية مع فارق بالطبع و دون أن تكون بالضرورة منطلقا لمواقف هذا الصنف من الأولياء الذين يرون في توجيه أطفالهم تدخلا قد يزعجهم و يغفلون عن ما قد ينجم تبعا لفقدان التوجيه و الانضباط . بينما ينطلق روسو من فكرة أن خبراتنا الاجتماعية سيئة مقابل فطرة الأطفال ، وكلما تدخلنا في حياتهم عبر نقل تلك الخبرات إليهم فإننا نقوم بتلويث فطرتهم لذلك علينا تركهم يتعلمون عبر تنمية تجاربهم الشخصية و ليس عبر محاكاة تلقنهم نفس الأخطاء والسوء الذي وقع فيهما المجتمع . أما النوع الآخر من الأولياء فينتهجون طريقا وسطا يجمع بين تبني ما يشعر الأطفال بوجود نظام قائم وقوانين اجتماعية تسخر منظومة قيمية تحدد المسموح

[1] المقابلة رقم 12.

[2] المقابلة رقم 12.

و الممنوع بالتوازي مع توفير هامش حرية تحقق جو الحوار المشجع على النقاش و التبادل الفعال بين الأولياء و أطفالهم . ***" تاع بكري يقولك ولدك صاحبه و اذا كبر خاووبه ... خطرات نضرب النح بصخ في قرايتهم والتربية مزيرهم ما كانش الزعاقة".***[1]

المتفق عليه أن الأولياء بصفة عامة يسعون أولا استجابة لضرورات بيولوجية إلى اشباع حاجات الطفل الغريزية الأولى ، ثم ينتقلون بعد ذلك لتحويل الكائن البيولوجي إلى آخر اجتماعي يندمج مع أقرانه والمحيطين به من الأجيال المختلفة . في سعيهم الحثيث للقيام بأدوارهم من حيث الرعاية والتربية يجسدون عمليتان معقدتان وبطيئتان في آن واحد. فالتربية كما يصفها دوركايم جهد متواصل يكتسب الطفل من خلاله ألوانا من الفكر والعاطفة والسلوك اللذان لا يمكنه الوصول إليهما لو ترك لوحده. بين هذا وذاك تقوم الأسرة بإكساب الطفل على حداثة سنه مهارات وعادات الطعام ، الشراب ،النظام و الطاعة ... النظافة ومواقيت النوم بل حتى ضبط المثانة و الأمعاء قبل مراعاة حقوق الآخرين و احترام التقاليد و العادات .الأسرة بوابة الطفل نحو ثقافة مجتمعه عبر التنشئة الاجتماعية و الرعاية التي ترافقها تماشيا والمراحل العمرية المختلفة التي يمر بها . كل هذا تحققه الأسرة النووية اليوم بشكل أو بآخر لكن خاصية الانفراد بهذه المهمة ترسم خطا واضحا يحمل ذلك النموذج الأسري لوحده مسؤولية نجاح أو فشل سيرورة الإدماج الاجتماعي للأطفال واستبطانهم للبنى الذهنية المؤطرة للمجتمع الذي سيعيشون بداخله.

وكما ناقشناه سابقا فإن تعدد نماذج التربية وأساليبها تؤسسان للاختلاف ومن ثم تسمحان بتحقيق حرية أكبر داخل الحياة الحضرية وهو ما يفسر الحاصل أمام أعيننا من قيام كل أسرة بشكل منفرد يشجع على التمايز أكثر مما يدعو إلى الوحدة والتشابه من حيث الأدوار والممارسات.

[1] المقابلة رقم 10.

والدان وطفل هي مفتاح لـ "مجتمع الأفراد " الذي نعيشه اليوم ، و كل جامع من حيث مظهر المجتمع الخارجي و تشظي داخلي يحصر الحياة الاجتماعية القاعدية على مستوى أصغر يسمح بكل أشكال الاختلافات الممكنة . سنقول أن نموذج حي الوئام من الأسرة النووية و المتكرر عبر أحياء ومدن الجزائر هو من يصنع لنا صورة الحاضر بالنسبة للأسرة الجزائرية دون تعميم بل قياسا على تكرار تجربة (الوالدان و طفل) و رمزيتها ، بحيث تتواجه الأساليب التربية بل ومخرجاتها في نفس الفضاء السكني لترسم فسيفساء من القيم و خلفيات السلوكيات الغير متجانسة بالضرورة . بذلك نكون أمام مشهد اجتماعي جديد يمهد للانتقال إلى مرحلة قادمة.

6-أبناؤنا باتوا لوحدهم بالبيت

قد يبدو هذا العنوان أقرب لنداء استغاثة من آباء أعجزتهم وضعية لا يملكون حلا لها . لقد أفرزت التغيرات الاجتماعية المتعاقبة حالة انفصال للأسرة النووية بكل مزاياها بالنسبة للأزواج، لكن بتحدياتها ومشاكلها أيضا . فعندما عوض الحضن العائلي بمصير منفرد منفصل على شاكلة زوجان وطفل، طفت للسطح وضعيات لم تكن لتطرح في الماضي ومنها بقاء الأطفال بمفردهم بالبيت ***"... عندي الكبير نتكل عليه مقابل خوته ما عندك كي ديري يقعدو وحدهم"*** [1].

يتطلب عمل المرأة وجودها خارج المنزل مدة الدوام وهي التي خصها المجتمع الجزائري بدور رعاية الأطفال بالبيت. الانتقال إلى مرحلة تعميم عمل المرأة جعل من غير الممكن المحافظة على نفس الأدوار المتقاسمة بين الرجل والمرأة وبدا ضروريا استحداث حلول مبتكرة لتجاوز العقبة الجديدة. نلمس أن قدرة المجتمع على الابداع لا تحصر و لا تحد، ومن هذا المنطلق يجد الأزواج كل حسب

[1] المقابلة رقم 7.

حالته حلولا تناسب وضعياتهم بدأ من دور الحضانة لأطفالهم الأقل سنا أو الاستعانة بالأقارب تدرجا من أم الزوجة أو أختها ثم الأبعد فالأبعد وصولا إلى الجيران .

" والديا هما لي رباو ولادي لا خاطرش أنا خدامة و نحطهم في دارنا قريب ..."[1] وضعية ما كانت لتكون لولا عمل المرأة الذي أصبح متقبلا في إطار مساعدة الزوج . تتطور الأمور مع مرور الوقت عندما يكبر الأطفال و يتمدرسون إذا يلجأ أوليائهم إلى تحميلهم مسؤوليات مستحدثة و يتخلون عنها بحكم اكراهات العمل التي تعم الزوجان معا ، لذلك يهتدون لحل يبقي الأبناء لوحدهم داخل البيت أثناء فترات بالنهار . و فورا تنتج تراتبية تجعل أكبر الأبناء ولدا كان أم بنتا مسؤولا عن إخوته ويسلم مفتاح البيت كما قد يفرد دون إخوته بهاتف نقال للتواصل معه .

" أنا خدمتي ما تغبنيش نخدم فالدار كاين برك خطرات وين يليق نروح نشري الكتان ولا نروح نقضي وين ننغبن بصح الخدمات يحسن عونهم أنا جارتي تخلي ولادها وحدهم مع ختهم ...لي ما عندهش الجازي ما عنده كي يدير...المرة الخدامة تنغبن ماشي ساهلة باش تعاون راجلها وقتنا المرة و الراجل راهم متعاونين على هم الزمان لوكان ماديرش هاكا ماتسلكش"[2].

هكذا وضعية لم تكن لتتصور بالماضي ، ليس من حيث أنها لم توجد بل من حيث تكرارها و حجم انتشارها . هم أطفال يعودون للبيت بعد الدراسة و يرجعون للمدرسة قبل العودة مجددا بمفردهم، فيتحولون إلى بالغين بدوام مؤقت إلى حين عودة أحد الوالدين أو كلاهما . وتبقى فترة مكوثهم بالبيت بمفردهم مجالا غير متحكم به وخارج سلطة الوالدين بحكم الواقع وهنا لا مجال للموازنة بين منفعة و أخرى و بين عاطفة الأبوة و الأمومة أمام مقتضيات العمل لكل من الزوجين

[1] المقابلة رقم 3.

[2] المقابلة رقم 6.

. لا خيارات متاحة فالأسرة النووية تملك مصيرها بيدها و لم تعد جزءا من فضاء العائلة كي تستفيد من خدماتها و الناتج بالضرورة إقرار لواقع مفاده : " لقد بات أبناؤنا بمفردهم في البيت ". إن الاكتفاء الذاتي الذي تحققه الأسرة النووية يعم وضعيات حياتية مختلفة بما فيها إيجاد الحلول اللازمة و تخطي العقبات ، فيتبع ذلك تنامي حجم الفردانية التي تلف حياة الأسرة النووية يوما بعد يوما . الانكفاء على الذات لتحمل تبعات الخيارات المتبعة تغير كثيرا من القناعات و بعض القيم ، فلا يعتبر ترك الأبناء بمفردهم بعدا عن المسؤولية من طرف الوالدان بل حلا مبتكرا لا بديل عنه و تصبح للضرورة أحكامها ، وعدم وجود الأم داخل المنزل لرعاية أبنائها طيلة اليوم لا يعتبر عدم قيام بالواجب بل تضحية من نوع خاص للمساعدة في الجانب الاقتصادي لن تتهم بالتقصير بل ستوظف كل التبريرات ليكون وضعها مقبولا بحجة أو بغيرها هذا ما نعتبره تحولا على مستوى القيم لمسايرة التغير الحاصل الذي يتخذ مسارا تراكميا فولوج التعليم مكن المرأة من المنافسة في سوق العمل و عملها حررها من كثير من المهام و الأدوار السابقة المناطة بالزوجة واتجاه الأبناء و تكييف ذلك عوض استهجانه كما في البنيات الذهنية التقليدية للمجتمع الجزائري.

7-**<u>التنشئة الدينية داخل الأسرة النووية</u>**

في علاقة المجتمع بالدين تتبوأ الأسرة مكانة خاصة ، فهي المؤسسة الأولى التي تباشر نقل وترسيخ القيم الدينية إلى الناشئة بل و تحدد الهوية الدينية لأطفالها فالمسلم و المسيحي أو البوذي واليهودي عبارة عن تقمص في المراحل العمرية المتقدمة لديانة الأسرة نفسها. من هنا يصبح ما يتعلم داخل إطار الأسرة بمثابة الموجه لسلوك الفرد الديني وقناعاته الأولى. في مجتمعنا الجزائري تجتهد الأسر _على الأقل على مستوى الخطاب _ في نقل ما يعم العبادات من صلاة و صوم ثم ما يلحقهما من المحرمات و المباحات اضافة إلى تحفيظ القرآن . فيحصل الطفل على معرفة دينية

ممزوجة بثقافة المجتمع وتفضيلاته لهذا المذهب أو ذاك، لذلك الشيخ أو تلك المرجعية فلا تنتقل القيم الدينية أو التدين بشكل موضوعي وهو ما يطلق عليه (التدين الموروث) كتركة تنتقل من الآباء إلى الأبناء دون المساس بمحتوياتها.

"...ملي كانو صغار و أنا وبوهم موراهم على الصلاة ومازال لدروك لوكان نغفل عليهم شويا يحبسو... ودروك راه كاين شويا توعية كاين الدعاة لي شان تاع التيلي راهم يضلوا يهدرو فالبوست على الصغار وتربية تاعهم تبدا فالدار الصلاة القرآن تاني فالدار ولي يينجم يرسلهم راه كاين جمعيات يحفظو ولي عنده الجامع قريب [1]".

" ولادك أنت وما ربيتهم يليق تديهم معاك للجامع وتحفظهم القرآن مالصغر ماشي حتى يكبر وكي يشوفوك أنت تصلي هوما ثاني يديرو كيفك و يتبعوك ...البز يقلد والديه كيما يديرو يدير ومع الوقت زيد دخلهم للجامع فالفاكونس خير ملي يقعدو فالزونقة ..." [2].

يعبر المبحوثون بتلقائية مباشرة عن أهمية موضوع التربية الدينية وقيامهم بما يلزم في هذا المجال مقارنة بأجوبتهم عن مواضيع أخرى يتخيرون لها بعض التعابير والكلمات. يتعلق الأمر بالدين وما يمثله داخل المجتمع فتغذو المسؤوليات الدينية من الواجبات المسلم بها و ذات الأولوية القصوى بيد أن ما يهمنا هو كيفيات نقل المعرفة الدينية إلى الأبناء داخل الأسرة النووية ومهمة من هي ؟

لا تختلف الأسرة النووية عن غيرها من حيث ضرورة القيام بالمهام الدينية اتجاه الأبناء لكن سنجد تنوعا حسب نمط الحياة لكل منها . فتبرز مكانة خاصة للأمهات لدى بعضها من حيث مراقبة مدى التزام الأبناء بالتعاليم الدينية خاصة في السن التي يبدؤون فيها ممارسة الصلاة ،فقد يساهم الأب

[1] المقابلة رقم 4.

[2] المقابلة رقم 8.

في تلقين الأبناء الصلاة لكن تبقى الأم مسؤولة عن المتابعة، ويختلف الأمر عندما يتعلق الأمر بالأولاد فتوكل مهمة ترسيخ عبادة الصلاة لديهم للأب بحكم اصطحابهم لصلاة الجمعة، بعض الصلوات الجماعية ، أو ما يختص به شهر رمضان من صلاة التراويح ويليها الأعياد . نلمس تقسيما على أساس التفرقة الكلاسيكية بين الذكور و الاناث . في المقابل قد تحتفظ الأم بالدور الرقابي بحكم احتكاكها الأكبر بأبنائها ، لكن ما يخص الصلوات الجماعية خارج البيت يمارس جماعيا إذا يصطحب الزوجان أبنائهما ويتوجهون جميعا نحو المسجد خاصة في شهر رمضان .

نذكر حالة ثالثة أين يباشر أحد الزوجان بحكم (رصيده الديني) رقابة أكبر و يتقدم مسؤولية الأمور الدينية للأبناء أكثر من غيره انطلاقا من رغبة داخلية وهنا قد تميل الكفة اتجاه الأب أو الأم على حد سواء . خاصة عندما نفكر في الارتباط ببعض الدعاة و الانخراط في الجمعيات الدينية حيث يتحول هذا الانتماء إلى حضور قوي في الحياة الدينية للأبناء ومتابعتهم المستمرة.

8-اللباس كتحد يواجهه الأولياء

تواجه الأسرة النووية الكثير من التحديات و من بينها التحدي التكنولوجي الذي نعالجه في العنصر اللاحق، لكن أكثرها تداخلا يجمع بين ما يتعلق باللباس و الأمور الدينية التي تعتبر من المسؤوليات المباشرة للأسرة الجزائرية عموما و خاصة النووية . تتضح الصورة أكثر إذا ما سلمنا أن ما يتعلق باللباس يخضع للطريقة التي تستبطن بها بعض القيم من المنظومة الدينية وهنا يتجلى الارتباط المشار إليه. يقضي المنطق الاقتصادي أن الاستهلاك يخضع للقدرة الشرائية و في مجال اللباس تبرز قوانين أخرى لا تقل أهمية عن المنطق الاقتصادي ومنها الموضة .

"...مين يكونو صغار نلبسوهم كيما نبغو ومين يكبر يبداو يفيقو و يبدا التقلاش هذي نلبسها هذي ما نلبسهاش و علاش ماشريتوليش كيما تاع فلان و خويا شريتوله ... كل يوم يجبدولنا زي جديد وأحنا غي نتبعوا كي دير..." [1].

وما أكثر ما يرتبط الأبناء بضرورة اقتناء الجديد والدارج من أنواع الملابس التي يتنافسون مع أقرانهم في الحصول عليها بعد اقناع أوليائهم بأهميتها لديهم. و أكثر ما يواجهه هؤلاء اليوم ويقض مضاجع بعضهم قدرتهم ثم رغبتهم لتوفير حاجات أبنائهم من اللباس كما و كيفا ، إذا تفرض الميزانيات المتوفرة حدودا موضوعية للخيارات الممكنة لكن تتدخل عوامل الإغراء و انتشار المنافسة على اقتناء الأفضل لتدلو بدلوها . بين ما يشتكي منه من حاورناهم و ما يعبرون عنه تتداخل الأمور لترسم صورة غير واضحة لما عليه أمور اللباس عند أبنائهم بدأ من التذمر من الغلاء المهيمن قبل التعبير عن حجم الضغوطات التي يمارسها أبناؤهم بشتى الطرق ثم رغبتهم باقتناء الأفضل في توازن بين التكلفة و النوعية . دون أن ننسى أفضلية الألوان و نوعيات الأطقم التي تتجدد باستمرار ووجب مجاراتها إرضاءا لإلحاح الأبناء و الشعار المشترك أن الكل يشتري و الكل يتبع الموضة .

" ولادي نبغي لبسهم غاية بصح راه الغلا قشهم راه غالي على قشنا وزيد الدخلة ، العيد وغي يديرو هاك يصغارو عليهم وقش لبنات وحده وضروك راهم يتقلشو شري مركة فلانية و يخيرو أحنا بكري كنا نلبسوا ونسكتو ضروك يعرفولي كولاروهذي ما تجيش مع هاذي وقاع صحاباتي عندهم منهم وغي أنا ماتشروليش حتى تصيب روحك تشريلهم ...علاه رانا نخدمو و اقفين على خاطرهم ومين تساعفيهم ماتسلكيش منهم" [2]

[1] المقابلة رقم 11.
[2] المقابلة رقم 2.

المكون المسكوت عنه في هذه المعادلة وهو محل للمناورة و كل أنواع التبريرات يرتبط بالقيم التي يعبر عنها اللباس سواء فيما اقتصر الإناث و العلاقة مع تهذيب مظاهر الجسد استجابة لثقافة محافظة و تجد تأصيلا لها في الجانب الديني، أو ما يعم الأولاد أيضا مما هو مقبول و محترم. لعل أكبر الثورات على مستوى الذوق والألوان تجاوز التقسيمات الكلاسيكية بين الأزرق للذكور والوردي للإناث. ففي عصر تتطور فيه الرموز بين الأنثوي والذكوري وتتقارب يصبح اختيار الأنسب للأبناء ممارسة شاقة وتتطلب الكثير من المرونة والتخلي عن المعتقدات السابقة أمام منطق ما هو دارج. يضاف لكل ذلك كم الألبسة الواجب اقتنائها والملفت للانتباه حجم الحوارات التي تسبق كل عملية شراء وأهمية اللباس في حياة الأبناء كضرورة شأنها شأن الحاجيات الأخرى.

9-التكنولوجيا الحديثة والتربية الأسرية

تمثل العملية التربوية التي تقودها الأسرة مكونا مهما إن لم نقل الأكثر أهمية في منظومة التنشئة الاجتماعية. كيف لا و دورها الحاضن والراعي للأبناء يسمح بنقل مكتسباتها من قيم ، سلوكيات ، و تصورات كما العادات والتقاليد لتحقيق بناء شخصية الفرد. لكننا نلحظ اليوم أن الأسرة و الجزائرية بالخصوص تواجه تحديات كبيرة في ظل التطور الحاصل على مستوى تكنولوجيا الإعلام والاتصال بمختلف وسائلها و وسائطها ذات الاستخدام اليومي . تحديات ناجمة عن الاستهلاك المفرط للتكنولوجيا وسوء استخدامها داخل وخارج الأسرة ، ومن أبرزها انتشار منظومة قيمية موازية تلحق ضررا مباشر ا بالعملية التربوية الأسرية . خاصة عندما نطلع على المكانة و الأهمية البالغة التي افتكتها وسائط التواصل الاجتماعي من (فايسبوك ، تويتر ، وانستاغرام) لدرجة تحولت إلى مرجعية توجه سلوكيات الأبناء و تبنى على أساسها مواقفهم.

" أنا نعتمد تربية والداي باش نربي أولادي ما نستخدمش التكنولوجيا "[1] ، " نعم نستخدم جميع الأجهزة من تابلات ، هاتف ذكي ، بورتابل ، التيلي و حتى لي أبليكاسيون "[2] ، " أنا نوظف التكنولوجيا في تربية أبنائي ...كاين المختصين النفسانيين ، القنوات تاع اليوتوب لي يعلموكم كيفاش تتصرف ..." [3] ." لا ما نستخدمش التكنولوجيا ماعدا الجانب النفسي وفيه أستعين بالتكنولوجيا "[4].

يعبر مبحوثونا عن مدى غزو التكنولوجيا لحياتهم اليومية وهو أمر واقع نقره جميعا ، بيد أن تعاملهم مع التحديات المترتبة عن ذلك الواقع هي ما يصنع كل الفرق . تنقسم آراؤهم حول كيفيات استغلال التكنولوجيا من جهة و مواجهة سطوتها من جهة ثانية . لقد أصبح التعامل مع وسائط التواصل و الأجهزة الالكترونية روتينا حياتيا ، وتبقى الفروقات ماثلة بين من يستطيع (تدجين) التكنولوجيا وبين من يتعرض لإبتزازها وهذا ما يمكن رده لخلفيات من حاورناهم بدأ بالمستوى التعليمي الذي يلقي بثقله فيجعل التكنولوجيا أداة توظف لتحقيق غاياتنا بقدر ما يمكنها التحكم و الحد من حرياتنا ووصولا إلى مواقف شخصية ترى في التكنولوجيا أسلوبا لا يصلح للتربية بل وسيلة يمكنها المساعدة .

كي لا تختلط الأمور بين معنى تكنولوجيا و وسائط التواصل أو الأجهزة الالكترونية ، ننطلق من أن ما نستخدمه من أجهزة ذكية أو أقل ذكاء من بعضها بطرق آلية في حياتنا اليومية هو منتوج يختزن بداخله تكنولوجيا حديثة و أما وسائط التواصل فهي كل تلك البرمجيات التي تستخدم للتواصل

[1] المقابلة رقم 12.

[2] المقابلة رقم 3.

[3] المقابلة رقم 7.

[4] المقابلة رقم 5.

الآني أو غير المباشر على إختلاف محتوياتها . لذلك بربطها بالتربية يستحضر الأولياء وجود التطبيقات النافعة كما تلك التي يمكنها سرقة الوقت الثمين من أبنائهم ، يشيرون مثلا إلى وجود اليوتوب و قنواته الهادفة كما يشمئزون من ما يعرضه اليوتوب في غير موضوع هو و التيك توك . الأمور متشابكة لدرجة يحمل فيها قول لا أستخدم و أستخدم على أكثر من وجه و تفسير وهو ما سنعود لشرحه لاحقا .

سنجد أن هناك موقفان متوازيان لدا الأولياء اتجاه ما اختصرناه تحت مسمى (تكنولوجيا) ، فتتعارض المواقف أولا عندما يتعلق الأمر باستخدامهم لها كجزء من التربية أو اعتمادهم عليها بشكل أساسي . فسنجد تفاوتا في الآراء بين من يرى ضرورتها كجزء من التربية في وقتنا الحالي وبين من يعارض ذلك مباشرة، ثم سيختلفون مرة أخرى حول كونها وسيلة وجب اللجوء إلى استخدامها من عدمه. تبرز حساسية الآباء بوضوح عندما يتعلق الأمر بما يعرض في التلفاز عبر القنوات المتعددة لكنهم لا يدققون فيما يعتبر برامج أطفال ومحتوياتها على أساس التقسيم برامج مخصصة للأطفال وأخرى للكبار. سنستغرب من ضبابية الموقف من متابعة الأطفال للمسلسلات الخاصة بالكبار إذ يحضرها الأطفال مع أنها غير مخصصة لهم!، ولن نجد أثرا قويا لتذمر الأولياء.

"التيلي كان ما يطفاش فالدار قاع النهار شاعل وخطرة بنتي كانت تتفرج هذاك تاع لغز الجريمة أيا ولات تخاف في الليل من بعد باش فقنا بيها " ،"يليق نحدو وقت مايبقاش البز قاع النهار لاصق في التلفاز وكاين قنوات غي تاع ميكيات نخليهم يتفرجوهم وحدهم" ، " ملي كثرولي شان ما صبنا ما نتفرجو، كاين هذاك المسلسل تاع (...) في شحال رانا متبعينه ،...واه يتفرجو معايا بناتي في رحبا " [1].

[1] المقابلات على التوالي 1-5-2

لكن عندما ينتقلون للحديث عن ما يخص أبنائهم فتتقاطع مواقفهم بل تكاد تتطابق ، إذ تتحول تلك التكنولوجيا التي لا يمكن تقنين استخدامها دائما إلى منافس ، عدو شرس يتربص بأبنائهم ."

نبقا حايرفلي يعطو البورتابل لولادهم قاع النهار وهوما لاصقين فيه ... التابلات عند بزتاع ربع خمس سنين ! ستة سبع سنين صابي راه عنده بورتابل تاعه ويكونيكتي . من بعد ما تجيش تقولي ولدي راه ضعيف فالقراية ، البورتابل ماشي للصغار حتى مور الباك واه يكون كبرو الصغار لي يشوفوه فالبورتابل يهدرو عليه و العجب راه كاين " [1]***." مين نقولك نستخدم التكنولوجيا ماشي طالقا البورطابل للصغار ... الكبير نظل نزقي عليه هو وخوه لوكان تجي عليهم ما يحطوهش الطابلات ويدابزو بيناتهم على لي جو بصح البروطابل مايدوهش وحدهم تحت المراقبة راهم صغار".*** [2]

إن التدرج في تعلم القيم عبر الانتقال من الأسرة إلى المدرسة ثم الانفتاح على المجتمع ككل أصابه خلل واضح بسبب ما تعرضه الأجهزة التكنولوجية الحديثة التي غزت تفاصيل حياتنا . فلم تعد الشبكات تضطرنا للانتظار مطولا خلف شاشات الحواسيب ضعيفة الأداء، بل تحسن أداء المعالجات الرقمية و تقوت التغطية لدرجة أن الهواتف الذكية و الألواح الالكترونية غيبت الحواسيب و قبلها التلفاز و الراديو ، بل وتنافس بقوة مؤسسات التنشئة الاجتماعية عبر دفق هائل من المعلومات المتاحة بدون رقابة.

لا يمكن لحكايات الجدة أو مجالس السمر العائلي أن تواجه طغيان الإغراء الرقمي، كما لا يمكن للحوارات الأسرية أن تطمس سطوة التعليقات الافتراضية اللامتناهية والرسائل النصية القصيرة.

[1] المقابلة رقم 9.

[2] المقابلة رقم 4.

الانتماء إلى العالم الافتراضي جعل من الأسرة الحديثة جسدا خاليا من أي روح في زمن يسهل فيه اقتناء الأجهزة و تخصيص واحد منها لكل فرد . تحولت الجلسات إلى وجوه شاحبة ملتصقة بأي جديد تبثه شاشات الهواتف فلا حوار يستمر دون أن تقطعه تغريدة هنا أو إعجاب هناك . بذلك تحولت الثورة الرقمية إلى خطر يتهدد الأسرة لا مصدرا يسهل اتصالها بالعالم .

يجد الآباء أنفسهم في مفترق طرق بين رغبة تشدهم نحو البحث عن أفضل سلوك تربوي ينتفع منه أبنائهم و بين منطق الواقع الرقمي المهيمن . لا يمكن في عصرنا الحالي أن ندير ظهورنا لذلك العالم بعد أن صار جزءا من حياتنا . تيه الآباء بين رغبتين متصارعتين يعبر عن أزمة جديدة تعيشها الأسرة و النموذج التربوي على حد سواء ، لأن الخطاب الموظف من طرف الآباء يحمل معاني التذمر ، الإحباط ، وحتى العجز عن المواجهة في إقرار بالتهديد الصريح الذي يواجه ما استبطنونه كأطفال قبل أن يتحولوا إلى آباء . من جهة أخرى فإننا نلمس التفاوت الواضح بين مضمون الخطاب و ممارسات الواقع فهي مساحة لا تتوقف تتسع بين التمثلات و الواقع ، لأن الأولياء عموما يصرحون بقيامهم بمسؤولياتهم و استشعارهم لخطر سوء استعمال التكنولوجيا ، لكن في المقابل فإن حجم ما يتخذونه من خطوات فعالة لمواجهة خشيتهم لا يرقى لمستوى التحديات التي يعبرون عنها . لا يبدو هذا في نظرنا تناقضا بل انعكاسا لحركة مجتمع ككل يمر بتحولات لم تنتهي بعد ولم تعبر عن كل مضامينها . نعود للتأكيد على ما وظفناه من قبل من تأكيد الباحث لقجع عبد القادر على تواجد المجتمع الجزائري في مرحلة المخاض التي تفتح الباب واسعا أمام كل التكنهات .

خاتمة :

رهان التربية رهان مفتوح لا يمكن حسمه بمجرد التعرض له بالبحث و التفسير لأنه معقد ومركب لدرجة يتجاوز فيها مقدرة هذا الفصل على تغطيته . يبقى أنه و انطلاقا من واقع مصغر نقدر أن التغير الاجتماعي قادر على تقديم عديد التوضيحات التي تتبث وجود فروقات بين الماضي والحاضر تماشيا و مستجدات تواجهها الأسرة النووية .

خاتمة عامة

عالجنا في هذا البحث موضوع التربية لدى الأسرة النووية انطلاقا من واقع مجتمعي مصغر بمنطقة الحشم تحديدا بحي الوئام في مستغانم . و كان الهدف محاولة الإجابة عن الكيفية التي يساهم من خلالها التغير الاجتماعي في بناء تمثلات الأسرة النووية لطرق تربية الأبناء .

من خلال المراحل المختلفة لهذا البحث تغير موقفا من البحث أكثر من مرة قبل أن نصل إلى ما قدمناه عبر الفصلان السابقان . مكننا هذا البحث من ولوج عالم الأسرة النووية المصغر عبر حوارات ثرية قدمت لنا معطيات قيمة حاولنا تفسيرها قدر الإمكان قبل أن نؤكد بعض ما افترضناه في مرحلة متقدمة من هذا البحث . فلنا أن نؤكد على وجود أسلوب تربوي خاص بالأسرة النووية يميزها عن سابقتها الممتدة وهذا إقرار للواقع الذي يرسخ كل الفرق بين ممارسات الماضي و الحاضر ودال على حركة التغير التي مست المجتمع الجزائري على مستوى البنية الأسرية . فبروز أسلوب تربوي مغاير يتماشى و انتشار الأسرة النووية هو أفضل دليل على ما خلفه التغير الاجتماعي من آثار . في المقابل لم نلمس أن للبيئة الحضرية تأثيرا مباشرا على تربية الأسرة النووية لأبنائها بقدر ما تجسدت كبيئة حاضنة تتماشى و متطلبات تلك الأسرة عبر ترويجها ما يتعلق بقيم الفردانية والحرية التي تشجع على بعض الممارسات أكثر من غيرها ، ومن جهة أخرى فإن كل مبحوثينا من أصول حضرية ومنه فانهم لم يقدموا من بيئة مغايرة لتمارس عليهم المدينة تأثيرها بالضرورة . وفي سياق متصل نرى أن مجموع المتغيرات التي تحيط بالأسر محل الدراسة لها أن تفسر المواقف والوضعيات لكن لا تصنع كل تفصيل لدى الأسرة النووية خاصة و أننا نشهد تقاربا بين هذه الأخيرة فيما يخص أسلوبها التربوي العصري .

نعتبر من خلال ما توصلنا إليه أن النماذج الاجتماعية لا تتعارض مائة بالمائة بل عندما يعقب بعضها بعضها تفقد بعض الجزئيات و تتحول أخرى لتستمر ، ينطبق هذا على مصير الأسرة الممتدة التي تركت مكانها لأخرى نووية دون أن تقضي على كل الروابط الاجتماعية وهو ما يجعل مظاهر حياة الأسرة النووية بما فيها التربية خاصتها نموذجا هجينا لا ينطلق من الصفر بل يعيد تحيين ما كان موجودا ليعرضه في شكل جديد . يبقى أن الأسرة النووية تواجه اليوم عديد التحديات التي قد تنجح في تجاوزها أو تقف عندها إلى حين قدرتها على إيجاد حلول و بدائل وهو ما يمثل الجانب الإبداعي الذي يتحقق معه التغير الاجتماعي عبر مراحل زمنية متتالية .

يتولد عن هذا البحث أسئلة أكثر من الإجابات التي يقدمها حول موضوع مهم يعالج ما يرتبط بالأسرة النووية و موضع تربية الأبناء ، خاصة و أن الواقع المجتمعي في حركية مستمرة تخضع لقوانين التغير الاجتماعي . يتواجد المجتمع الجزائري اليوم في مرحلة مفصلية من مراحل تطوره بكل ما يلحقها من الظواهر المستحدثة و الممارسات كما التمثلات التي تؤسس لواقع جديد يحتاج متابعة بالدراسة و البحث بغية تفسيره .بناء على ما سبق فإن هذا البحث هو جزء من حلقة أكبر على خطى من سبق من الدراسات و ما استطعنا تغطيته بالبحث لا يمكن إلا إن يكون نسبيا و ذو قدرة تفسيرية آنية طالما أن الظاهرة الاجتماعية لا تتوقف تتغير.

المـــــــــــــراجع

مراجع باللغة العربية

الكتب :

-أحمد علي الحاج ، أصول التربية ، دار المناهج للنشر و التوزيع ، ط1 ،الأردن، 2013 .

-أحمد زكي صالح ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1975 .

-السيد رمضان، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999.

-أنتوني قيدنز بمساعدة كارين بيردسال ، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية) ، ترجمة فايز الصايغ، الطبعة الرابعة ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت .

-حسن مصطفى عبد المعطي ، الأسرة و مشكلات الأبناء ، ط1 ،دار الشباب للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2004 .

-رابح تركي ، أصول التربية و التعليم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990.

-رأفت البويهي و آخرون ، أصول التربية المعاصر ، ط1 ، دار العلم و الايمان للنشر و التوزيع .

-سلوى عثمان الصديقي ، قضايا الأسرة و السكان من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر ، 2001.

-سناء الخولي ، الأسرة و الحياة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت .

- شريف عبد القادر ، التربية الاجتماعية و الدينية في رياض الأطفال ، دار ميسرة ، مصر ،2007.

-صلاح الدين شروخ ، علم الاجتماع التربوي ، دار العلوم و النشر و التوزيع ، عنابة ، 2004 .

-عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، 1963 .

-عبد الحميد سيد منصور ، وزكريا أحمد الشربيني ، الأسرة على مشارف القرن 21 ،ط1 ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 2000.

-عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، دار الهدى للنشر ،2015.

-عبد القادر القصير ، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية ،دار النهضة العربية ، بيروت ، 1999.

-عبد الله رشدان ، علم اجتماع التربية ، عمان ، دار الشروق ،1999.

-عطا الله فؤاد الخالدي ، و دلال سعد الدين العلمي ، الارشاد الأسري و الزواجي ، ط1 دار صفاء للنشر و التوزيع ، 2009.

-علي الحوات ، مبادئ علم الاجتماع ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1995.

-فايزة اسعد زرهوني ، العادات الاجتماعية و التقاليد بين الاعتقاد و الممارسة في الماضي و الحاضر : عادات الزواج والختان ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، 2018.

-محمد إسماعيل قباري، مناهج البحث في علم الاجتماع : مواقف و اتجاهات ، منشئة المعارف ، الإسكندرية ، 1982.

-محمد الكتابي،" موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني و العلمي و الأدبي" ، الجزء الأول ، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء ، 2014.

-محمود الناشف ، الأسرة و تربية الطفل ،ط2 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ، 2011 .

-محمود محمد الخوالدة ، فلسفات التربية التقليدية و الحديثة و المعاصرة ، دار الميسرة ، ط1 ، عمان الأردن ، 2013 .

-مصطفى بوتفنوشت العائلة الجزائرية ، التطور و الخصائص الحديثة ، ترجمة أحمد دمرى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

-معن خليل العمر ، التغير الاجتماعي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2004.

-مهدي زويلف –تحسين الطراونة ،منهجية البحث العلمي ، دار الفكر ،عمان ،1998 .

المقالات :

-فتيحة حراث، القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية ، انسانيات عدد 59 ، 2013ص ص53-73.

-عبد القادر لقجع ، أن تكون أنثروبولوجيا محليا : وجهة نظر جزائرية ، مجلة التغير الاجتماعي ، العدد رقم 2 ، 2017 ،ص ص 25-48.

-محمد سعيدي العائلة، عاداتها و تقاليدها بين الماضي والحاضر الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا، إنسانيات عدد 04 1998 ،ص ص 41-49.

-محمد حمداوي ، المجال السكني العائلي في الوسط الريفي التقليدي : الدار و القرية لدى "بني سنوس"، إنسانيات عدد7 ،1999،ص ص 25-35.

الأعمال الجامعية :

-مدان نعيمة ، نمط الأسرة الجزائرية في ظل التحضر و التغير الاجتماعي ، دراسة ميدانية لمنطقة ذراع بن خدة – ولاية تيزي وزو-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة الجزائر2 ، 2014.

-محمد حمداوي ،**أطروحة سبق ذكرها ،ص196-197.**

-خديجة بوخالفة ، خصائص الأسرة النووية في المجتمع الجزائري، دراسة ميدانية بمدينة بوقرة _ولاية البليدة ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر ، 2002.

-عداد سامية ، المداح منصورية، الأسلوب التربوي في الأسرة النووية بين التقليد و الحداثة ،دراسة ميدانية ببلدية الصفصاف (مستغانم) نموذجا ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع التربوي ،جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم، 2017.

-قوعيش أسماء ، بن زينب خيرة ، التحضر و تأثيره على العلاقات الأسرية ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع مدن و تنمية ، جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم، 2017.

القواميس :

-إبن منظور ، لسان العرب ، دار المعرفة ط1 .بيروت ، 1988، ص437.

-حسان محمد الحسن ، معجم علم الاجتماع ، بيروت ،ط2 ، 1986.

مراجع باللغة الأجنبية

-BLANCHET A- GOTMAN, L'enquête et ses méthodes : l'entretien ,Nathan Université ,Paris , 1996.

-BOUDON R , BESNARD P , CHERKAOUI M, LECUYER B-P, Dictionnaire de la sociologie ,Larousse, Madrid ,2012.

-BOURDIEU P, Sociologie de l'Algérie.

-BOUTEFNOUCHENT M , Introduction à la sociologie :Les fondements , OPU, Alger,2004.

-BOUTEFNOUCHET M , La société Algérienne en transition ,OPU, Alger ,2004.

-BOUTEFNOUCHENT M , Système social et changements social en Algérie, OPU, Alger, 1982.

-GRAWITZ M, Méthode des science sociales, Dalloz, Paris,1996 .

-ROCHER G, Introduction à la sociologie générale. Tome3, Le Changement social, édition le seuil, Paris,1972.

-ROBERTSON R, Meaning and change: Explorations in the cultural sociology of modern societies, Basil Black well, Oxford ,1978.

الملاحـــــــــق

دليل المقابلة :

السن الجنس المستوى التعليمي المهنة مكان الإقامة الأصل الجغرافي .....

نوع المسكن ..... عدد الغرف

مم تتكون أسرتك ؟

- منذ متى تزوجتما ؟

-هل انفصلتما عن أسرة الزوج أم شكلتما أسرة مستقلة مباشرة بعد الزواج ؟

كم أقمت بعد الزواج عند والديك / أقمت عند والدي زوجك ؟

كم عدد أبنائك ؟ ما هو سن كل واحد منهم ؟

هل رزقت بأبنائك أثناء فترة اقامتك مع والديك / والدي الزوج ؟

كم دامت تلك الفترة ؟

كيف وجدتم الحياة مع الأسرة الكبيرة ؟لماذا ؟

من كان يتخذ القرارات في الأسرة ؟

هل يتدخل والداك / والدا الزوج في تربية أبنائك ؟ أو يتدخلون

كيف تعاملت معهم / تعاملت / تعاملتما معهم ؟

-هل تربيت في أسرة ممتدة أم أسرة نووية ؟

-ما رأيك في تربية الأبناء ؟

هل تختلف تربيتك لأبنائك عن تربية والديك لك ؟

ماهي أفضل الطرق لتربية الأبناء ؟

من يتولى رعاية أطفالك أثناء العمل؟

هل تستخدم التكنولوجيا في تربية أبنائك ؟

ماهي الأجهزة أو البرمجيات التي توظفها ؟

هل تراقبون ما يشاهده أطفالكم ؟

ما رأيك في امتلاك الطفل للهاتف النقال ؟

هل تتدخل في اختيار أبنائك للملابس ؟

من يتولى تعليم الأطفال أصول الدين و يتابع قيامهم بالعبادات ؟

*هناك أسئلة خاصة بكل حالة تعاملنا معها نتجت خلال الحوار و تبعا لتفاعل أصحابها معنا ، لذلك لم تدرج ضمن هذا الدليل ، وتبقى الأسئلة المتقاسمة بين كل المقابلات هي التي وردت به .

جدول تمثيلي للمبحوثين

رقم المقابلة	الجنس	السن	المستوى الدراسي	المهنة	عدد الأطفال	نوع السكن	الأصل الجغرافي
1	أنثى	41	جامعي	ماكثة بالبيت	2	وظيفي	حضري
2	/	39	ثانوي	ماكثة بالبيت	3	وظيفي	/
3	/	30	جامعي	عاملة	3	وظيفي	/
4	/	50	جامعي	ماكثة بالبيت	3	اجتماعي	/
5	/	44	باكلوريا	ماكثة بالبيت	2	منزل خاص	/
6	/	40	ثانوي	خياطة	3	منزل خاص	/
7	/	44	جامعي	عاملة	3	وظيفي	/
8	ذكر	42	جامعي	أ.جامعي	2	عدل	/
9	/	51	جامعي	مهندس	3	منزل خاص	/
10	/	53	جامعي	عامل سونلغاز	3	عدل	/
11	/	50	ثانوي	إداري فالبلدية	2	اجتماعي	/
12	/	57	ثانوي	عامل بالميناء	2	اجتماعي	/

موقع حي الوئام بمدينة مستغانم